بستان الخطيب

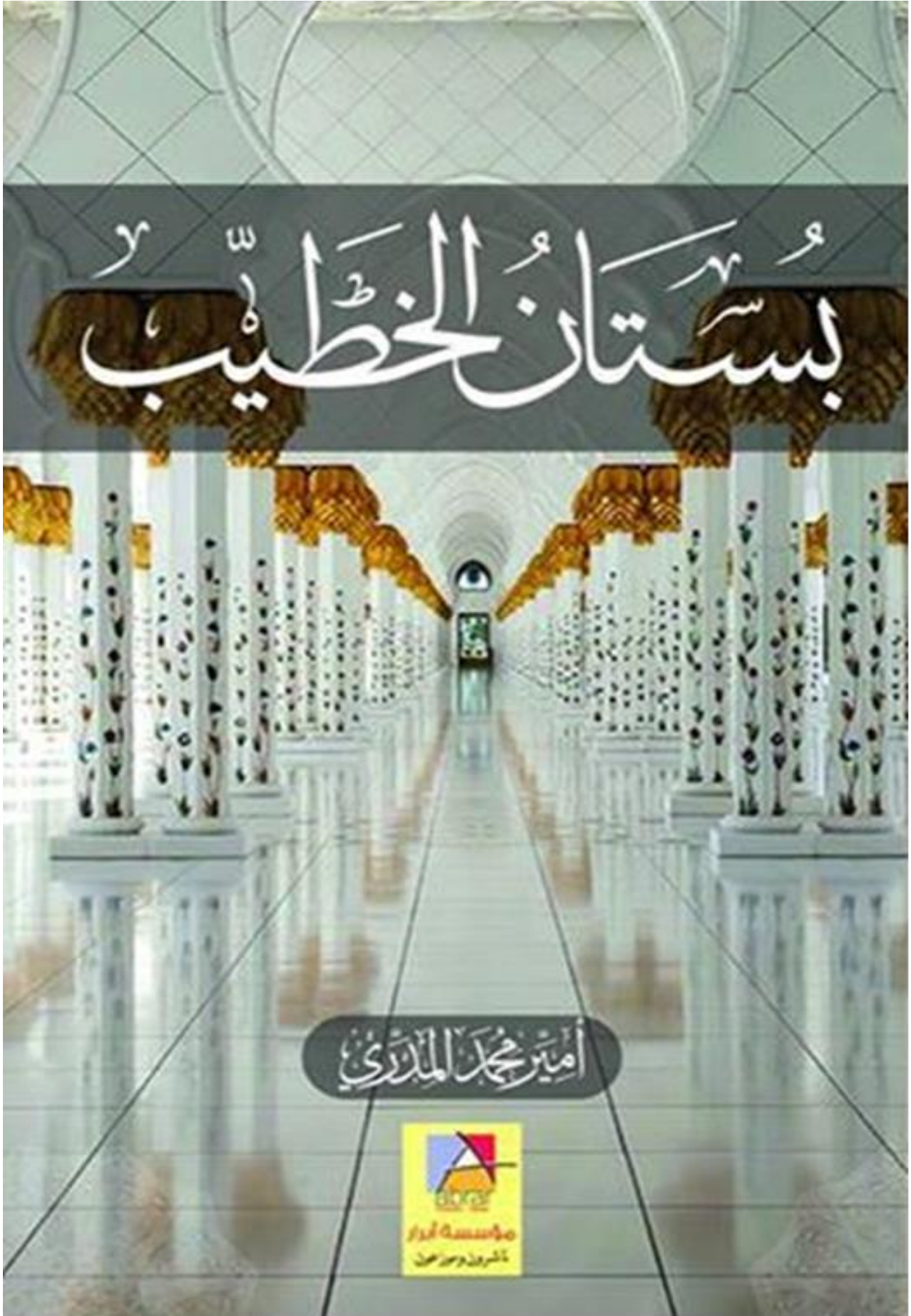

أمير محمد المدري

مؤسسة أوراد
للنشر والتوزيع

بُسْتَانُ الخَطِيبِ

الجزء الرابع

أمين بن محمد المدرس

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«الطبعــة الخامسة»

«١٤٤٠ هـ - ٢٠٢٠م»

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي صنعاء - شارع العدل

تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)

ت : (٢٢٧٨٥٥) ص . ب : (٢٣٧٠)

القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

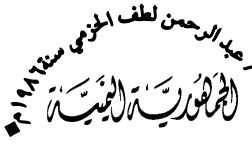

للطباعة والنشر والتوزيع

صنعاء الدائري الغربي - جولة القادسية

تلفون : (٢١٥٢٤٣)

فاكس : (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر - الميدان - جوار فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)

مركز خالد بن الوليد - الدائري الغربي - تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

فرع شارع تعز - شميلة - جوار برافو سنتر ... ت : (٦١٧٦٦١) .

المحتويات

المحتويات ٤
المقدمة ٧
مع الله الجبار ١٠
صفات الرجال«١» ٢٠
صفات الرجال«٢» ٢٩
صفات الرجال «٣» ٣٩
الصحبة والصداقة ٦٣
كيف يكون بيتك سعيداً ٧٢
الظلم والظالمين ٨٣
إلى كل مسلم بعد الحج ٩٤
الأمانة ١٠٤
عبد الله بن مسعود ١١٧
المخلوق العجيب ١٢٧
عاشوراء دروس وعبر ١٤١
الخسوف دروس وعبر ١٥٣
الطوفان في معرفة الشيطان «١» ١٦٤
الطوفان في معرفة الشيطان «٢» ١٧٧
الطوفان في معرفة الشيطان «٣» ١٨٥
سورة الحجرات «٦» الغيبة ١٩٧
سورة الحجرات «٧»العصبية ٢٠٨

العودة إلى الإيمان ٢١٨
يوم عرفة ٢٢٦
إمامٌ عادل ٢٣٤
شابٌ نشأ في عبادة الله ٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أفضل الحمد وأكمله، وأثني عليه أحسن الثناء وأجمله، وأُصلي وأُسلم على خير خلقه، وأفضل رسله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من منن الله تعالى أن جعل لهذه الأمة مواسم للخيرات، تنال بها أعلى الدرجات، ويُكفّر عنها السيئات، بأقل عمل تنال عظيم الأجر، وتضع عن نفسها عظيم الوزر، فأعظم بها من مِنة، وأكرم بها من نعمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن تلك المواسم العظيمة، يوم الجمعة الذي يكفي في بيان فضله وعظيم شأنه قول نبي الأمة -ﷺ-: «**خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه الله إياه**»[صحيح مسلم ح (٨٥٤).].

ومن المنن العظيمة في هذا اليوم، أن شرع الله لعباده فيه خُطبة الجمعة، فيها يتعلم الجاهل، ويتذكر الناسي، ورتّب على أدائها وحضورها الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

إن خُطبة الجمعة تتميز بمزايا، وتختص بخصائص لا تتوفر في أي نوع من أنواع الخطب الأخرى، حيث إنها تمثل شعيرة من شعائر الإسلام، وتتم في جو مهيب خاشع تتهيأ فيه النفوس للتلقي والاستماع، ويشعر المسلم فيها أنه في صلاة وطاعة

لله جل وعلا، كما أنّ خُطبة الجمعة تتميز بوجوب الإنصات إلى الخطيب، وعدم التشاغل عنه، مما يفردها عن سائر الخطب، والمحاضرات، والندوات التي لا ينطبق عليها الحكم الشرعي نفسه.

وتتميز أيضاً بالاستمرارية والتكرار في كل أسبوع، ففي العام الواحد يستمع المصلي لاثنتين وخمسين خطبة، وهذا يمثل برنامجاً دراسياً متكاملاً، فإذا أحسن الخطيب إعداده كانت آثار الخطبة جليلة، وثمراتها عظيمة.

وتتميز خُطبة الجمعة إلى جانب ذلك بتنوع الحاضرين إليها، وباختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلمية، والاجتماعية، فإن الخطيب فيها يخاطب جميع فئات المجتمع، ولا يختص الحضور على فئة دون أخرى، وهذا التنوع يعني تذليل العقبات التي تحول دون تنفيذ طرائق الإصلاح الاجتماعية، فإن العامل وصاحب العمل، والطالب والمعلم، والموظف والرئيس كلهم يُخاطَبون في آنٍ واحد، ويوضعون أمام مسؤولياتهم، فلا تخاطب فئة منهم في غياب الفئة الأخرى، ولا تحمِّل المسئولية على فئة منهم دون الأخرى.

وهذا ولا شك يُلقي على الخطباء بمسؤولية كبيرة توجب عليهم أن يكونوا على مستوى هذه الفريضة العظيمة والشعيرة الربانية.

ومن هذا الباب كان «**بستان الخطيب**» الذي ينهل منه كل مسلم، والخطيب خاصَّة، وبين أيدينا « **الجزء الرابع** »، يعيش الخطيب في ظلاله ويسبح في أنهاره، ويبدأ في تحضير خطبته بطريقته الخاصة وأسلوبه البارع.

وأحمد الله حمداً كثيراً طيباً أن وفقّ ووضع القبول لهذا الكتاب، فبين أيدينا الطبعة الخامسة من هذا الجزء، فأتوجه إلى الله وأستغفره من كل ما زلّت به القدم، أو طغى

به القلم، وأستغفره من أقوالنا التي لا توافق أفعالنا، اللهم اجعلنا بما علمناه عاملين، ولوجهك به مريدين، ولا تجعله وبالاً علينا، وضعه في ميزان الصالحات إذا رُدّت إليك أعمالنا يا أكرم الأكرمين. آمين آمين

أخي القارئ..

ما دعوةٌ أنفع يا صاحبي من دعوة الغائب للغائبِ
ناشدتك الله يا قارئاً أن تسأل الغفران للكاتبِ

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب و يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً وأن يكون ذُخراً ليوم المعاد إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلى وأعلم وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مع الله الجبار

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر وفطر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من إلهٍ عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر وتعالى من قادرٍ محيط لا تنجي منه قوةٌ ولا مفر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحد به وكفر، شهادةً ندخرها ليومٍ لا ملجأ فيه ولا وزر، شهادةً نرجو بها النجاة من نار لا تُبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر وعلى آله وصحبه السادة الغُرر الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

أما بعد: أيها الناس..

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

عباد الله: مما يزيد حُب الله في القلوب، ومما يزيد ويرفع منسوب الإيمان في القلوب معرفة أسماء الله وصفاته؛ فإن لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة أي من حفظها، ووعاها، وعمل بها، واعتقدها دخل الجنة. . .

دعونا نتعرف على أسماء الله وصفاته ونعيش في ظلالها.

واليوم سنقف وإياكم مع اسم في منتهى الرحمة والرقة والعطف واللطف والرأفة والحنين؛ اسم اليوم هو «**الجبّار**». قد يتخيل البعض أن أسماء مثل «**الجبار**» و«**المنتقم**» و«**القهار**» هي أسماء لقصم الظالمين والانتقام من الجبابرة فقط.

عباد الله: أحياناً تتداخل عندنا صفات الإنسان مع صفات الخالق، فلابد من العلم بأن هناك صفات إذا نُسبت إلى الخالق فهي صفات كمال أما إذا نُسبت إلى المخلوق فهي صفات نقص، فإذا وصفنا إنساناً بأنه جبّار فهذه صفة نقص فيه لأنه ضعيف مهما تجبر لا يملك لنفسه موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، خُلق الإنسان ضعيفاً، خُلق الإنسان عجولاً، خُلق الإنسان هلوعا.

هذا الإنسان الذي يوصف بأنه جبار هل بإمكانه أن يضمن استمرار حياته إلى ثانية واحدة؟ لا فالموت والحياة بيد الجبار (جل جلاله).

عشرات الأشخاص كل يوم يموتون بسبب وبلا سبب، ومع تقدم العلم أصبح يقول الأطباء: جلطةٌ في الدماغ أو سكتةٌ دماغية أو سكتةٌ قلبية أو هبوط مفاجئ في وظائف الكليتين أو تشمّع الكبد. . .

نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ونحن بين أظهرنا أشخاص كثيرون كانت لهم آمال طويلة جداً كل هذه الآمال تبددت لأن خللاً طفيفاً جداً أصابهم، ألا ما أضعف الإنسان وصدق الله القائل: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء: ٢٨].

إذا وصِف الإنسان بأنه جبّار هذه صفة ذم في الإنسان لأن وجود الإنسان فيه افتقار إلى الله عز وجل، وجود الإنسان تابع لمشيئة الله، قوة الإنسان تابعة لمشيئة الله، عقل الإنسان تابع لمشيئة الله، فإذا قلنا فلان جبار فإننا نذُمُّه ولعنةٌ في حقه، لأنه يدّعي ما ليس له، يدّعي حجماً ليس بحجمه، يدّعي قوة ليست بقوته، أما إذا وصفنا خالق الكون الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم الذي لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، إذا وصفنا خالق الكون بأنه جبار فهذه صفة مدح وصفة تنزيه وصفة من صفات الذات لله عز وجل.

ورد اسم الله «**الجبار**» في القرآن مرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر: ٢٣].

عباد الله: كلمة الجبار لها معانٍ عدة:

المعنى الأول: الجبار هو العالي الذي لا يُنال، نقول نخلة جبّارة لشدة ارتفاعها لا نستطيع قطف ثمرها، نقول ناقة جبّارة يصعب ركوبها، والله - يقول في قرآنه الكريم: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

أي عظماء أقوياء أشداء، أما إذا قلنا فلان جبار، يعني لا يتواضع متعاظم متكبر لا ينقاد إلى أحد، مثل هذا الإنسان لابد من أن يقصمه الله ﷻ قصماً، لذلك ترون وتسمعون كل وقت وكل حين عن جبار من جبابرة الأرض قصمه الله ﷻ وجعله في أسفل سافلين، لأن الكبرياء من صفات الله ﷻ و العظمة من صفات الله ﷻ فلا يحق لإنسان ضعيف منازعة الله هذه الصفات.

إن الكبرياء لله سبحانه فمن نازعه فيه، أو أراد أن يتكبر، فليعلم أنه من الخاسرين، واسمعوا إلى الحبيب -ﷺ-، وهو يقول: «**قال الله ﷻ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**». [رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح]، أي أهلكته وقضيت عليه. أما المؤمن الموحِّد فهو يُظهر دائماً عبوديته لله وافتقاره إليه وذُله وانكساره بين يديه، وسيد المؤمنين الموحدين عبد الله ورسوله محمد -ﷺ- كان من أحرص الناس على إظهار عبوديته لله وافتقاره إليه وإظهار ذله وانكساره بين يديه.

إذاً المعنى الأول من معاني اسم الجبار الإله العظيم الذي لا تناله الأفكار ولا تحيط به الأبصار ولا يصل إلى كنهه عقول العقلاء سبحانه (ﷻ).

المعنى الثاني للجبار: العوام يقولون فلان جبر خاطر فلان، جبْر الخواطر، جابر عثرات الكرام، ولهذا قيل: ما عُبِدَ الله في الأرض بأفضل من جبر الخواطر، ويقال جُبِر العظم.

الجبار بهذا المعنى هو المصلح للأمور، كلما حصل ضيق، كرب، مشكلة، تهدم شيء، افتقر إنسان تضعضع إنسان، يأتي خالق الكون وهو الجبار فيرأب الصدع ويلم الشمل ويغني الفقير ويجبر الكسير ويعطي المحروم ويرفع الذليل، لذلك كلما جئت الله ﷻ خاضعاً منكسراً جبرك، كلما جئته من باب الخضوع والتذلل والانكسار جبر كسرك ولمَّ شعثك ورأب صدعك وقوى ضعفك وأغنى فقرك وأعز ذلك.

«**الجبار**» هو الذي يجبر المنكسرين. هذا الاسم، لمن ظُلِم، لليتامى، لكل من أُهين أو كُسر وهو مظلوم.

«**الجبار**» هو الذي يجبرك عندما تلجأ إليه بكسرِك وذلك وخضوعك فهو الذي يُجبِر المنكسرين.

يا من ظُلِم، يا من قيل فيه قولاً ظُلما افتراءً من لك سوى «**الجبار**»؟ اللهم اجبر كل كسير وانصر كل مظلوم.

يا يتيم يا من أنهكتك الدنيا، يا أرملة، يا مطلقة يا من تنكر لك الكل حتى جيرانك، من لك سوى «**الجبار**»؟ يا شريك يا من شاركت شخصاً ما في شركة ثم خدعك واستولى على مالك، من لك سوى «**الجبار**»؟ يا من ظلمها زوجها ظلم شديد وألحق بها الأذى، من لكِ سوى «**الجبار**»؟ اليتامى، الحزانى، كل من ظُلِم في هذه الدنيا، من لهم سوى «**الجبار**»؟ لن تلجأ إليه بكسرِك وذلك إلا وينصرك لأنه سمَّى نفسه بـ «**الجبار**».

عبد الله الجأ إليه وتذلل بين يديه وابكي له وقل: يارب ظُلمت، يارب كُسرت،

يارب عطفك ورحمتك وعفوك ومغفرتك.

عبد الله: إذا كنت في خصومة وكنت أنت القوي واستعملت قوتك في الظلم فلست رابحاً ولست منتصراً لأن هناك جبّاراً أعلى سوف يقصمك، أما إذا كنت الجانب الأضعف هناك الجبار الذي سيرحمك.

شريكان يتخاصمان أحدهما أقوى من الثاني، القوي يطرد الضعيف ويبقى في المحل ليس هذا ربحاً ولا ذكاءً ولا شطارةً ولا قدرةً، لأن الله مع الضعيف والله هو الجبار، سيجبر كسر الضعيف وهو الجبار سيقصم الظالم.

زوجان تخاصما أحدهما تجاوز حدوده، هنيئاً لمن كان الأضعف هنيئاً لمن كان المظلوم، لأن الله مع المظلوم في الزواج وفي الشراكة وفي أي تعامل، فالله جبار على الظالمين جبار للمظلومين، جبار على الأقوياء جبار للضعفاء، جبار على المتكبرين جبار للمتذللين.

فالجبار المصلح لكل الأمور، المظهر لدين الحق، الميسر لكل عسير، الجابر لكل كسير وهذه صفة من صفة أفعال الله.

عباد الله: هناك نوعان من الكسر: كسر للأبدان وكسر للقلوب. وإذا كان الأطباء يُجبرون كسر الأبدان فإن الله يُجبر كسر القلوب.

وكان من دعاء الصالحين «**يا جابر كل كسير**». والضعفاء والمساكين في كنف الله ﷻ وحفظه ورعايته.

عبد الله إذا انكسرت ولجأت لله، فلن يُرجِعَك خائبا، قد يؤخر الله الجبر لحكمة يعلمها، لكنه لن يتركك.

يا حسرةً على ما فات ما من أعمارنا دون أن نعرف الجبار! إذا طلب شخص من أحدٍ ما شيئاً فيقول له: «**لأجل خاطري**. . . » ويلين له كي يلين له. نحن نفعل هذا الفعل مع البشر، فما بالك بأكرم الأكرمين؟

الأمة اليوم بحاجة إلى أن تلجأ إلى الجبار كي يجبر كسرها ويعيد لها عزها ومجدها.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

المعنى الثالث للجبار: الجبار: هو الله ﷻ الذي أجبر الخلق على ما أراد وحملهم عليه، أرادوا أم لم يريدوا أحبوا أم لم يحبوا، أي لا يجري في سلطانه إلا ما يريد ولا يحصل في ملكه إلا ما يشاء، الله ﷻ جبار مشيئته هي النافذة، أنت تريد وأنا أريد هكذا يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**أنت تريد وأنا أُريد، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أُريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أُريد**».

فرعون قال: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إلهٍ غيري، رأى في المنام: أن طفلاً من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه، كان حريٌّ به أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يعود عن غيه وعن ظلمه وعن كبره وعن ادعائه، خطر في باله أن يقتل كل أبناء بني إسرائيل وهكذا فعل، لا تستطيع قابلة في عصره إلا أن تخبر رجاله عن مولود ذكر ولد لبني إسرائيل فإذا أُخْفَت قُتِلت هي مكانه، **(يُذبِّح أبناءهم)**.

الجبار تدّخل، فهذا الذي سيقضي على ملكه ربّاه في قصره وعاش معه، ومرّت الأيام وكانت نهايته على يديه، وظهر عجز فرعون وضعفه أمام قوة الله الجبار وقدرته، وجعله الله لمن خلفه عبرة وآية، فلا إله إلا الله الجبار.

أُخوة يوسف أرادوا به كيداً فجعلوه في غيابة الجب، ما الذي حصل؟ الله الجبار تدّخل فأعز يوسف وأذل إخوته فجاءوا إليه قائلين تصدق علينا.

دخلوا عليه قال: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[يوسف: ٩٠]، ما الذي حصل؟ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾[يوسف: ٢١]

كفار مكة تآمروا على قتل النبي -ﷺ-، قاطعوه نكّلوا بأصحابه، ثم دخل عليهم فاتحاً عام الفتح وهم رهن إشارة منه، لو أعطى إشارة لقُتِلوا جميعاً قال -ﷺ-: «**ما تظنون أني فاعل بكم قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم قال: اذهبوا فأنتم طلقاء**».

امرأةٌ قالت لضرتها التي لا تنجب: موتي غيظاً في بطني جنين وعلى يدي طفل وأمامي ولد، من يصدق أن هؤلاء الأولاد الثلاثة ماتوا تباعاً، وأن التي لا تنجب

رزقها الله خمسة أطفال ذكور؟ ! الله جبار.

طُلّقت امرأة من زوجها وهو يدّعي أنها زوجة سيئة وهي تدّعي أنه زوج سيء أحياناً في المستقبل إذا وفقت بزوج صالح أكرمها و وتزوج هو بزوجة سيئة أزعجته، معنى ذلك أنه كان ظالماً لها والله العالم.

وفي كل زمان وفي كل مكان وفي كل عصر وفي كل مصر تجري مثل هذه القصص. غني يفتقر، فقيرٌ يغتني، ضعيف يقوى قوي يضعف، كم من إنسانٍ كان في قبضة إنسان، يذيقه ألوان الإهانة والعذاب، فجأة وقع هذا القوي في قبضة المستضعف، فإذا أقبلت الدنيا عليك فلا تتكبر.

والحقيقة كما أن الله ﷻ يعطي المال بشكل كبير فيدهش، وبإمكانه وبقدرته أن يأخذه دفعة واحدة فيدهش.

أحد العارفين قال: «**يا رب يا جبار عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحداً غيرك، يارب عجبت لمن عرفك كيف يستعين على أمرٍ بأحد غيرك، وعجبت لمن عرفك كيف يلتفت لأحد غيرك**».

يا رب، عَجِبت لمن عرفك، كيف يخاف من عبادك وأنت الجبار؟ !

عبد الله إياك أن تنام ليلتك وأنت ظالم. هنيئاً لمن بات مظلوم، ولم يبت ظالم.

يا من ظلمتم الناس، احذروا! يا من ظُلمت وتحترق شوقاً لتنتقم ممن ظلمك، اعلم إن الله معك في اللحظة التي ظُلِمت فيها. أنت في كنف الجبار.

فإياكِ وظُلم أحد، فقد يلجأ للجبار ليلاً باكياً له من ظُلمِك. إياك يا صاحب

العمل وقهر أو ظلم موظف أو ساعي بسيط عندك، فقد يلجأ إلى الله ليلاً باكياً له من ظلمك وطالباً منه أن يجبر بخاطره، فيقصمك الله من أجل هذا البسيط.

الجبار يوم القيامة: وفي أصعب موقف يوم القيامة يوم ينادى على البشر للعرض على الله ﷻ. تخيل أنه ينادى على كل شخص يومئذٍ: ، «**فلان بن فلان، هلم للعرض على الجبار!** » ينادى باسم الله الجبار، فهو جبار على الظالمين في ذلك الموقف، وجابر للمظلومين يقتص لهم ممن ظلمهم.

إياك أن تكون جبار يا عبد الله خاصة على والديك: فإياك أن تكسِر بخاطر أبيك أو أمك أو تدمع أعينهم أو تحمر وجوههم أو تنكسِر قلوبهم! ولذلك وردت كلمة «**جبار**» مرتين في القرآن على الوالدين على الحذر من أن تكون جباراً عليهم؛ مرة على لسان سيدنا يحيى في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٤]، ومرةً على لسان سيدنا عيسى في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٢]

أخلاق الحبيب

الله الجبار يقبل توبتك، في أي وقت أقبل إليه يقبلك تائباً.

الله الجبار يجبر الفرائض بالسنن النوافل عند النقص يوم القيامة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئاً، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل به ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك**» [رواه ابن ماجه

«١٤٢٥»]. أي في الصوم والزكاة والحج وغيرها من العبادات.

الله جبار يجبر عثرات المؤمنين عندما يخطئوا فيسامحهم ويعفوا عنهم لسابق إحسانهم.

اللهم اجبر عثراتنا وقوي إيماننا وارفع درجاتنا يارب العالمين.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

صفات الرجال «١»

الحمد لله مُستحقِ الحمد بلا انقطاع، ومستوجبِ الشكر بأقصى ما يستطاع، الوهابُ المنان، الرحيم الرحمن، المدعو بكل لسان، المرجو للعفو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب مفرّج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيّد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة. صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأحزابه، صلاةً تشرق إشراق البدور.

عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن وتمسكوا بما شرع الله لكم من الدين القويم، وأعلموا أن طاعة الله فيها السلامة والنجاة وفيها الرفعة والعزة، وإياكم والمعاصي فإنها توجب اليم العقاب ووبيل العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

عباد الله:

سنقف وإياكم مع الرجال والرجولة.

نتكلم عن الرجال والرجولة في زمنٍ فقدت الأمة أخلاق الرجولة إلا من رحم

الله، غُثاءً كغثاء السيل. أو كما قال الشاعر:

يثقلون الأرض من كثرتهم... ثم لا يُغنون في أمر جلل.

نتكلم عن الرجال والرجولة في زمنٍ صدق فينا قول القائل: «**يا له من دين لو كان معه رجال**».

نتكلم عن الرجال والرجولة و الأمة اليوم بحاجة إلى رجال يحملون الدين وهمّ الدين ويسعون جادّين لخدمة دينهم وأوطانهم شعارهم قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]

اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين.

عباد الله: أختلف الناس في تفسير معنى الرجولة فمنهم من يفسرها بالقوة والشجاعة، ومنهم من يفسرها بالزعامة والقيادة، ومنهم يفسرها بالكرم والضيافة، ومنهم يقيسها بالمال والاشتغال بجمعه؛ لكن الرجولة بمفهومها الصحيح ومعناها الحقيقي هي ما ذكره الله تبارك وتعالى في ثنايا كتابه الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]

عباد الله: لا بد أن نعلم أن هناك فرقٌ بين الرجل والذكر، فكل رجل ذكر، وليس كل ذكر رجل، ما أكثر الذكور لكن الرجال منهم قليل، ولقد جاءت كلمة «**ذكر**» في القرآن الكريم غالباً في المواطن الدنيوية التي يجتمع فيها الجميع، مثل الخلق وتوزيع الإرث وما أشبه ذلك، أما كلمة رجل فتأتي غالباً في المواطن الخاصة التي يحبها الله تعالى، ولذلك كان رسل الله إلى الناس كلهم رجال قال تعالى: ﴿وَمَآ

﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩].

عباد الله: الرجولة هي تحمُّلُ المسئولية في الذب عن التوحيد، والنصح في الله، والدفاع عن أولياء الله قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠]

ما جعله يأتي من أقاصي المدينة، وما جاء يمشي بل جاء يسعى لماذا؟ دفاعاً عن أولياء الله والدعاة إلى الله، إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

الرجولة إذا سمعت من ينتقص الدعاة إلى الله وعلماء الأمة أن تدافع عنهم وتذب عن أعراضهم. ففي الحديث يقول -ﷺ-: «**من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**» [صحيح، أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١)].

الرجولة: قوةٌ في القول، وصدعٌ بالحق، كلمة حق عند سلطان جائر، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

الرجولة: صمودٌ أمام الملهيات، واستعلاء على المغريات، حذراً من يوم عصيب يشيب فيه الولدان وتتبدل الأرض غير الأرض والسماوات، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]

الرجولة: رأيٌ سديد، وكلمة طيبة، ومروءةٌ وشهامةٌ، وتعاون وتضامن.

الرجولة: ليست في تطويل الشوارب ورفع الصوت والصياح وليست عرض للقوة والعضلات.

الرجولة: صلاحٌ للمخبر والمظهر، صلاح للباطن والظاهر.

عباد الله: إن الرجال: لن يتربوا إلا في ظلال العقائد الراسخة، والفضائل الثابتة، والأخلاق الحسنة.

الرجال: لن يتربوا إلا في ظلال بيوت الله، في ظلال القران والسنة النبوية.

الرجال: لا يُقاسون بضخامة أجسادهم وبهاء صورهم، وقوة أجسامهم فعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: «**أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن مسعود** -رضي الله عنه- فصعد على شجرةٍ أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- حين صعد الشجرة فضحكوا من دقة ساقيه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **أتعجبون من دقّة ساقيه؟ ! إنّهما أثقل في الميزان من جبل أحد** » [رواه أحمد وصححه ابن حبان].

عباد الله: عند الأزمات، عند الفتن تشتد الحاجة إلى الرجال، نحتاج إلى رجال يثبتون على الحق ويدافعون عن الحق ولا يخافون في الله لومة لائم.

يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة: ٢٣]

حاصر خالد بن الوليد «**الحيرة**» فطلب من أبي بكر مدداً، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي وقال: «لا يهزم جيش فيه مثله»، وكان يقول: « لصوت القعقاع في الجيش خيرٌ من ألف مقاتل»!

ولما طلب عمرو بن العاص المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في فتح مصر كتب إليه: «**أما بعد: : فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد**».

عباد الله: إن خير ما تقوم به دولة لشعبها، وأعظم ما يقوم عليه منهج تعليمي، وأفضل ما تتعاون عليه أدوات التوجيه كلها من صحافة وإذاعة، ومسجد ومدرسة، هو صناعة هذه الرجولة، وتربية هذا الطراز من الرجال.

في دار من دور المدينة المباركة جلس عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى جماعة من أصحابه فقال لهم: تمنوا؛ فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهباً أنفقه في سبيل الله. ثم قال عمر -رضي الله عنه-: تمنوا، فقال رجل آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله وأتصدق به. ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: «**ولكني أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بنِ الجراح، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله**».

رحم الله عمر الملهم، لقد كان خبيراً بما تقوم به الحضارات الحقة، وتنهض به الرسالات الكبيرة، وتحيا به الأمم الهامدة. إنهم الرجال أقوياء الإيمان أقوياء العزائم فهم أعز من كل معدن نفيس، وأغلى من كل جوهر ثمين.

إن القوة ليست بحد السلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في روح المعلم.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده - تعالى - ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون ميزان الرجال في شريعة الإسلام ليس المال وليس الجاه وليس المنصب إنما الأعمال الفاضلة والأخلاق الحسنة والإيمان القوي، مرّ رجلٌ على رسول الله -ﷺ- فقال: «**ما تقولون في هذا؟** قالوا: هذا حريٌ إن خَطَب أن يُنْكح، وإن شَفَع أن يُشَفّع، وإن قال أن يُسْتمع له. قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: **ما تقولون في هذا؟** قالوا: هذا حريٌ إن خَطَب أن لا يُنْكح، وإن شَفَع أن لا يُشَفّع، وإن قال أن لا يُسْتمع له، فقال رسول الله -ﷺ-: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا**» [صحيح البخاري «٦٤٤٧»].

عنوان الرجولة تتجلى في محمد -ﷺ- الذي علّم الرجال وربّى الرجال وهو الذي قال: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته**» [سيرة ابن هشام ١/ ١٥٠]. .

عباد الله: دعونا وإياكم نبحر ونغوص في كتاب الله ﷻ لنرى الرجولة في القرآن الكريم.

لقد ذكر الله الرجولة في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا.

صفات الرجال في القرآن الكريم

أول صفة من صفات الرجال وعلامة من علامات الرجولة في القرآن **الطهارة بشقيها الظاهرة والباطنة** قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة: ١٠٨].

قول الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] أُسس على التقوى، أُسس على التوحيد، أسس على العقيدة الصحيحة لوجه الله ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨] أحق أن تقوم فيه يا محمد من مسجد الضرار الذي بناه المنافقون.

ما هي صفاته الأخرى؟ ما هي أهم صفة من صفاته؟ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] أين مكان أولئك الرجال؟ ! أين مكانهم؟ ! ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ [التوبة: ١٠٨] في هذا المسجد رجال.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] يأتون إلى المسجد على طهارة، والله يحب هؤلاء الرجال الذين من صفتهم الطهارة ظاهراً بالنظافة والنقاء والمحافظة على الوضوء والطهارة الباطنة من أدران المعاصي والحقد والحسد والبغضاء ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. فلنكن عباد الله: طاهرين في أقوالنا وأفعالنا.

الصفة الثانية من صفات الرجولة في القرآن: **الصدق مع الله والثبات على المنهج الرباني**: فمن صفات الرجال: أنهم يثبتون على المنهج الرباني الذي أنزله الله ﷻ قال الله ﷻ مادحاً صنفاً من أصناف الرجال: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، عاهدوا الله ثم صدقوا في الوعد، صدقوا ما عاهدوا الله

على هذا المنهج، استمروا عليه، تشبثوا به، وساروا غير مضطربين ولا متحيرين، لا تعيقهم العوائق، ولا تقف أمامهم الصعوبات ولا الشهوات، ولا الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ومات على هذا المنهج شهيداً عاملاً لمنهج الله ﷻ.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ينتظر أن يتوفاه الله على حسن الختام؛ ليموت على هذا المنهاج غير مغيّر ولا مبدل.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] ما بدلوا ولا غيّروا ولا انحرفوا، بل هم مستقيمون على هذا المنهاج، ينتظرون أمر الله تعالى أن يتوفاهم وهم سائرون على هذا الدرب مستقيمون عليه، لا يلوُون على شيء إلا مرضاة ربهم ﷻ.

فالله الله في الصدق معه، فإنه بقدر صدقك يمنحك الله الثبات في الأقوال والأفعال والتصرفات، ويحرسك - بعين رعايته.

جاء رجل من الأعراب إلى النبي -ﷺ-، فآمن به واتبعه ثم قال: «أُهاجر معك، فأوصى به النبي -ﷺ- بعض أصحابه أن يعلموه»، فالذي أسلم حديثاً يلتقي بالقديم، الجديد مع القديم يأخذ معه ويتربى عنه، هناك تعليم واهتمام بالأفراد، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يهتم بأصحابه: «فلما كانت غزوةٌ، غنم النبي -ﷺ- **سبياً، فقسم وقسم له -لهذا الأعرابي- أعطى أصحابه ما قسم له - يعني: أمرهم أن يوصلوا نصيبه إليه- فجاءوا به إليه، فقال: ما هذا؟** قالوا: قسمٌ قسمه لك النبي -ﷺ-، فأخذه وجاء به إلى النبي -ﷺ-، فقال له: ما هذا؟ قال-ﷺ-: **قسمته لك.**

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى بسهم هاهنا -وأشار إلى حلقه- فأموت وأدخل الجنة -لا غنائم، ولا أموال- فقال: « **إن تصدق الله؛ يصدقك**»، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به إلى النبي -ﷺ- يُحمل وقد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي -ﷺ-: **أهو هو؟** قالوا: نعم.

قال-ﷺ-: **صدق الله فصدقه**، ثم كفّنه النبي -ﷺ- في جبته ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم إن هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً أنا شهيدٌ على ذلك**» [رواه النسائي وهو حديث صحيح].

قال -ﷺ-: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه**» [رواه مسلم]

حج عمر -رضي الله عنه- وأرضاه في آخر حياته وقف في الأبطح ورفع يديه، وقال: «**اللهم انتشرت رعيتي، ورق عظمي، ودنا أجلي، فاقبضني إليك غير مفرطٍ ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادةً في سبيلك وموتة في بلد رسولك** -ﷺ- »، فقال له الصحابة: يا أمير المؤمنين! إن من يطلب الشهادة يخرج إلى الثغور، فقال: «**هكذا سألت واسأل الله أن يلبي لي ما سألت**».

فلمّا وصل إلى المدينة طُعن في صلاة الفجر، وفي أحسن وقت، وفي أجلَّ مقام، وفي أحسن مكان، طُعن بعدما صلَّى الركعة الأولى ودخل في الثانية بيدٍ غادرة فاجرة، فوقع يقول: «**حسبي الله، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**»، وعلم أنها الشهادة التي سألها -رضي الله عنه- وأرضاه، فلما وضع في بيته، وضعوا رأسه على وسادة فقال لابنه: «**انزع الوسادة من تحت رأسي وضع رأسي على التراب علَّ الله أن يرحمني**».

اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها وخير أعمالنا خواتمها، هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

صفات الرجال«٢»

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل شيءٍ قائمٌ به وكل شيءٍ خاضعٌ له، غنى كل فقير، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن سكت علمَ سره، ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فإليه منقلبه، كل ملكٍ غيره مملوك، وكل قويٍ غيره ضعيف، وكل غنيٍ غيره فقير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله ﷻ القائل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ

فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١] اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

عباد الله:

ما زلنا وإياكم مع الرجال وصفات الرجال.

مع الرجولة وسمات الرجولة.

مع الرجال الذين تُبنى بهم الحضارات وتُشيّد بهم الانجازات، الرجال الذين يحبهم الله ويحبهم رسول الله -ﷺ-.

عباد الله: الرجولة ليست في شِدّة الصرعة وظُلم الآخرين والاستطالة على الضعفاء، يقول -ﷺ-: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» [متفق عليه].

وما زلنا وإياكم مع صفات الرجال في القرآن.

الصفة الأولى للرجال: **الطهارة الظاهرة والباطنة**، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والصفة الثانية: **الصدق مع الله والثبات على دين الله**، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]

الصفة الثالثة للرجال: **حبهم وتعلقهم بالمساجد**؛ فالرجال هم أهل المساجد، المعلّقة قلوبهم بالمساجد، قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]

قال -ﷺ-: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجل قلبٌ معلق بالمساجد**». مشغول بالصلاة ومواقيت الصلاة ومواعيد الصلاة ولقاءه بربه، لأنه يعلم أن المساجد هي أحب البقاع إلى الله وأعظم مكان تحصل فيه على أجور وحسنات.

الصفة الرابعة للرجال: إيثار الآخرة على الدنيا، قال تعالى وهو يتكلم عن رجال المساجد: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]

جعلوا الدنيا في أيديهم والآخرة في قلوبهم، قرأوا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]

فعلموا أن الأموال قد تُلهي عن طاعة الله، والزوجة والأولاد قد يُلهيان عن طاعة الله .

هؤلاء هم الرجال الذين لم تلههم تجارة ولا بيع عن أي شيء؟ عن ذكر الله، وإقام الصلاة.

قال بعض السلف رحمه الله: « يبيعون ويشترون -هؤلاء الرجال- يبيعون ويشترون؛ ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه، وأقبل إلى الصلاة».

هؤلاء الذين قدَّموا مراد الله على مراد أنفسهم، وآثروا طاعة الله على المتاع الدنيوي الزائل، آثروا الاستجابة لهذا النداء العلوي الرباني: حي على الصلاة، حي على الفلاح، على نداء الجشع والطمع الذي يثيره الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء.

أيها المسلمون: كم من الرجال اليوم يقعدون في محلاتهم ودكاكينهم، أو يدخُلون ربما بيوتهم ويتركون نداء الله، يتركون المسجد، لا يجيبون داعي الله إليه، لماذا أيها الإخوة؟ !

الرجولة أن لا تشغلك الدنيا عن الآخرة، كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يخطب على المنبر، فجاءت عير وقافلة فيها أنواع الثياب والطعام، فخرج الأصحاب ولم يبق إلا اثني عشر، فقال عليه الصلاة والسلام: «**والله لو تتابعتم فلم يبق منكم أحد، لسال بكم الوادي نارا**»، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾[الجمعة: ١١]. [أبي يعلى في مسنده ج ٣/ ص ٤٦٩].

الصفة الخامسة للرجال في القرآن: **الدفاع عن أولياء الله والدعاة إلى الله**: قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[القصص: ٢٠].

لماذا جاء لماذا تحرك من أقاصي المدينة؟ دفاعاً عن نبي الله وعن دين الله وعن ولي الله ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾[القصص: ٢٠]

فمن صفات الرجولة أن نكون أعواناً لدين الله وللدعاة إلى الله، وحرباً على من يحارب دين الله.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين

فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده تعالى ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأُصلي وأُسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: الصفة الخامسة للرجال: **الدعوة إلى الله**، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠].

فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها و استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً؛ ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور؛ ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره. إنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾[يس: ٢١].

إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة، وهو لا يطلب أجراً، ولا يبتغي مغنماً. . إنه لصادق.

الدعوة إلى الله أفضل قول، وأشرف قول، وأحسن قول، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، فيا أخي الحبيب كُن داعية إلى الله، وليس

معنى أن تكون داعية الله أن تكون خطيباً أو محاضراً، فهذه بعض وسائل الدعوة إلى الله، فقد قال -ﷺ-: «**بلغوا عني ولو آية**» [أخرجه البخاري «٤/ ١٤٥»].

والمثال الثاني للدعوة إلى الله مؤمن آل فرعون الذي وقف وحيداً أمام فرعون وجبروت فرعون، ما خاف إلا الله فكان رجل بمعنى الكلمة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر: ٢٨].

انظر إلى هذا الرجل الذي وقف كالجبل وأظهر إيمانه في وقت كان لابد وأن يظهر ويقف أمام طاغية ومدّعٍ للربوبية وتسانده حاشية سوء، ثم يقوم الرجل بتذكير قومه ويخوفهم من بأس الله ويدعوهم إلى الله وإلى الإيمان به -سبحانه وتعالى- ولكنهم يدعونه إلى الكفر والإشراك بالله ويدعوهم إلى الجنة والمغفرة ويدعونه إلى النار وبئس المصير، قال تعالى على لسانه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾ [غافر: ٤١].

ويتكرر هذا الموقف في كل عصر وأمام كل طاغية. إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

الرجولة أن تقول كلمة الحق لا تخاف في الله لومة لائم، فسيّد الشهداء حمزة ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر.

الصفة السادسة للرجولة في القرآن: **القوامة على الأسرة**، قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣٤].

والقيِّم أي الرئيس، الذي يحكم أهله ويُقوِّم اعوجاجهم إذا اعوجوا، وهو

المسؤول عنهم يوم القيامة، قال -ﷺ-: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته**» [أخرجه البخاري ومسلم].

ولا يقدح في رجولة الرجل أن يُعين أهله، فعائشة رضي الله عنها سُئلت عن فعل رسول الله عليه الصلاة والسلام في بيته، قالت: «**كان يكون في مهنة أهله يشيل هذا ويحط هذا يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته**» وهو رسول الله. [أخرجه البخاري]

ولا يقدح في رجولة الرجل أن يلاطف أو أن يمازح أهله، تقول عائشة رضي الله عنها: سابقني رسول الله عليه الصلاة والسلام فسبقته، فلما حملت اللحم أي بدت علي السمنة، سابقني رسول الله عليه الصلاة والسلام فسبقني، فقال-ﷺ-: «**هذه بتلك**». [أبو داود والنسائي].

عباد الله: **ما الذي يقدح في رجولة الرجل؟**

انعدام غيرته على أهله:

أ - في أمر لباسها فلا يعنيه أن تخرج متبرجة وملابس تُظهر مفاتنها، والرسول عليه الصلاة والسلام أعلمنا أن من أهل النار: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة** «كسنام البعير» **لا يردن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**» [رواه البخاري].

ب- لا تعنيه الجلسات المختلطة، قد تكون مع الرجال وتعمل مع الرجال وتخالط الرجال فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إياكم والدخول على النساء، قالوا: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني]. وتركهما منفردين. قال -ﷺ-: « **لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم،**

ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». [متفق عليه]

ج- يقدح في رجولة الرجل أيضاً أن يجعل للزوجة الحبل على الغارب، تخرج متى تشاء، وتعود متى تشاء، ولا يعرف الوجهة التي خرجت إليها، أو أن تسافر بغير محرم، أو عدم وجود الصحبة الطيبة التي تحفظ لها دينها وعفتها في الطريق.

هذه الأمور وعدم انشغال الرجل بها يدل على فقدان الغيرة، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**لا يدخل الجنة ديوث**» [رواه أحمد «٢/ ١٣٤»]. ، والديوث هو الذي لا غيرة له على عرضه.

د- ومما يقدح في رجولة الرجل هو أن يُسلّم قيادة أمره إلى أهله، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**إذا كان أمراؤكم فساقكم وأغنياؤكم شراركم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير من ظهرها**» [رواه الترمذي].

هـ- ومما يقدح في رجولة الرجل أن يقدم محبة أهله على محبة الله ورسوله، عبد الله بن أبي بكر تزوج امرأة يقال لها عاتكة، وكانت ذات حسب ونسب وجمال وأدب، خرج أبو بكر-ﷺ- يوماً إلى صلاة الجمعة فسمع عبد الله يناغي زوجته وتناغيه بما يكون بين الرجل وأهله، فلما عاد من صلاة الجمعة ورآهما على الحال الذي تركهما عليه قال: يا عبد الله ألم تصلّ معنا؟ قال: أأجمعتم؟ أي صليتم الجمعة؟ قال أبو بكر-ﷺ-: لقد شغلتك عاتكة عن ربك طلقها، فطلقها، ومضت ستة أشهر علم بعدها أبو بكر ندم عبد الله وندم عاتكة أنهما انشغلا بما يكون بين الرجل وأهله عن طاعتهما لله ﷻ، ثم قال له: أرجعها. فأرجعها.

اللهم أصلحنا وأصلح نساءنا وأصلح بيوتنا ذرياتنا واجمعنا بهم في الجنة يارب

العالمين.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

صفات الرجال «٣»

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

اللهم لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد - أهل الثناء والمجد - أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد -، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء وإمام المتقين وأشرف المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: أُوصيكم بتقوى الله ﷻ فإنها وصيةُ الله للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١].

فما من خيرٍ عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله سبيلٌ موصل إليه، وما من شرٍ عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله ﷻ حرزٌ متين وحِصنٌ منيع للسلامة منه والنجاة من ضرره.

ما زلنا وإياكم مع الرجال وصفات الرجال.

الرجال الذين تربوا على مائدة القران والسنة.

وقفنا مع الرجال وصفات الرجال وكلنا شوق وأمل أن نكون منهم ونتصف

بصفاتهم ونتشبه بهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرامِ فلاحُ

صفات الرجال في السنة النبوية

وقفنا مع صفات الرجال في القران الكريم ودعونا اليوم نبحر في صفات الرجال في السنة المباركة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

أول صفة من صفات الرجال في السنة المباركة:

١ - **القيام بالفرائض:** يقول تعالى في الحديث القدسي: «**ما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**» [البخاري: الرقاق «٦١٣٦»].

فما تقرب أحدٌ إلى الله بشيء أحبُّ إليه من الفرائض.

فما فائدة قيام الليل والعبد يضيّع صلاة الفجر، وما فائدة إنفاق المال في وجوه الخير وهو يأكل الحرام ويُضيّع من يعول، وما فائدة حُسن الخلق مع الناس كلهم مع عقوق الوالدين أين الفرائض؟ أين فقه الأولويات.

وفي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: إن أعرابيًا أتى النبي -ﷺ- فقال: دُلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي -ﷺ-: «**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**». .

ومن صفات الرجال صفاتٌ سبع لرجالٍ سبعة في حديث السبعة الصحيح الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

أول هذه الصفات الحب في الله جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله

يوم لا ظل إلا ظله، وذكر رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، فالرجولة أن تحب في الله ولله ومن أجل الله لا من أجل الدنيا، وأغراض الدنيا، فاللهم اجعلنا متحابين فيك يارب العالمين واجمعنا في الجنة على سررٍ متقابلين.

ومن الصفات **تعلُّق القلب بالمسجد** فقد ذكر النبي -ﷺ- من السبعة الذين يظلهم في ظله **فقال: ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد.**

الله أكبر. . . هؤلاء هم الرجال راحتهم وانسهم في بيوت الله.

الرجولة لا تُبنى في الأسواق والمقاهي، إنما تُبنى في بيوت الله التي فيها رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين، فيها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

يمشون نحو بيوت الله إذا سمعوا ... الله أكبر في شوقٍ وفي جَذَ ل
أرواحهم خشعت لله في أدبٍ ... قلوبهم من جلال الله في وجل
نجواهم ربنا جئناك طائعةً ... نفوسنا وعصيانا خادع الأمل
إذا سجى الليل قاموه وأعينهم ... من خشية الله مثل الجائد الهطل
هم الرجال فلا يلهيهم لعب ... عن الصلاة ولا أكذوبة الكسل

ومن الصفات العفة والعفاف عن الحرام فقد ذكر النبي -ﷺ- من السبعة الذين يظلهم في ظله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، إذاً الرجولة في العفة والعفاف واجتناب ما حرم الله.

ومن صفات الرجال ذكر الله مع البكاء من خشيته فقد ذكر النبي -ﷺ- من السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

«**ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** » [رواه البخاري ومسلم]، الله المستعان متى

آخر مرة بكينا من خشية الله في ساعة خلوة بالله، نشكو إلى الله قسوةً في قلوبنا وجفافاً في عيوننا. اللهم ليّن قلوبنا بذكرك وطاعتك.

ومن الصفات عباد الله: الصدقة في وجوه الخير مع تحري السر فقد ذكر النبي -ﷺ- من السبعة الذين يظلهم في ظله «**ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله: ليست الرجولة في جمع الأموال وتخزينها إنما الرجولة في الإنفاق في سبيل الله، الرجولة أن نقدم لأنفسنا صدقات تبيض وجوهنا يوم نقف بين يديه، ابن ادم يقول مالي مالي وليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى ولبس فأبلى وتصدق فأبقى.

. . . فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

ومن صفات الرجال الأمانة والقناعة والحكمة:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل اشترى عقارًا فوجد فيها جرة من ذهب فقال: اشتريت منك الأرض ولم اشتر منك الذهب. فقال الرجل: إنما بعتك الأرض بما فيها، فتحاكما إلى رجل فقال: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: فأنكحا الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما منه وليتصدق**». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

فسبحان الله كيف كانت أمانة المشتري وقناعة البائع وحكمة القاضي بينهما! !

ومن صفات الرجال عباد الله: السماحة:

فعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**أُدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً بائعًا ومشتريًا**» [رواه ابن ماجة وحسنه الألباني].

فالسماحة في البيع والشراء والاقتضاء تحتاج إلى رجل، فكم رأينا من يبيع

ويعود في بيعه من أجل أموال قليلة أو يبيع على بيع أخيه.

والصفة الأخيرة عباد الله: **للرجال قيام الليل**:

يقول عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- رأيت كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية؛ كطي البئر، وإذا لها قرنان - يعني كقرني البئر - وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر. فقال: لم ترع فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة رضي الله عنها على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل**» [متفق عليه]، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً.

عباد الله: **هل للرجولة سن معين؟**

الرجولة ليست بالسن المتقدمة، فكم من شيخ في سن الخمسين والستين وقلبه في سن السابعة، يفرح بالتافه، ويبكي على الحقير، ويتطلع إلى ما ليس له، ويقبض على ما في يده قبض الشحيح حتى لا يشركه غيره، فهو طفل صغير. . . ولكنه ذو لحية وشارب.

مر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على ثُلة من الصبيان يلعبون فهرولوا، وبقي صبي مفرد في مكانه، هو عبد الله بن الزبير، فسأله عمر: لِمَ لَمْ تعدُ مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أقترف ذنباً فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقةً فأوسعها لك!

ودخل غلام عربي على خليفة أموي يتحدث باسم قومه، فقال له: ليتقدم من هو أسن منك، فقال: « يا أمير المؤمنين، لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أولى منك بالخلافة.

وفي الحديث الصحيح يقول -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة**»، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا

﴿١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] وساقي عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يوم القيامة في الميزان أثقل من جبل احد.

ترى الرجل النحيل فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ هصورُ
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده - تعالى - ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

هل نصف المرأة بالرجولة؟

نعم قد نصفها بالرجولة عندما تحسن التصرف في موقف من المواقف والتي تعودها الناس أن لا تصدر إلا من الرجال. .

يقولون: فلانة وقفت وقفة رجل. . و أحيانا توصف بأنها بمائة رجل من فرط الإعجاب بها في حين تُسلب صفة الرجولة من بعض الرجال عندما يقفون وقفة لا تليق بالرجال. . ! !

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفُضّلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ وما التذكير فخرٌ للهلال

عندما تخلى بعض الرجال و قعدوا عندما سمعوا بموت النبي -ﷺ- في معركة أحد وقف رسول الله -ﷺ- في ثباتٍ وحده. . جاءت امرأة من المسلمين لتأخذ دور الرجولة في موقف يجب أن تتجلى فيه فأخذت سيفاً من يد أحد الفارين و وقفت وقفة رجل مع رسول الله -ﷺ- و الجراح تتفجر دما من جسدها و لا تبالي لما أصابها ورسول الله -ﷺ- يقول: «**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟** ؟ ».

وهاهي امرأةٌ أُخرى يموت أبوها في غزوة أُحد وهي تقول ما فعل رسول الله؟ ويقال لها مات أخوك وتقول ما فعل رسول الله؟ ولما رأت المصطفى -ﷺ- قالت كُل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله.

إذاً الرجولة صفةٌ يحبها الله و رسوله لكل الناس رجالاً كانوا أم نساء. .

الإسلام اليوم ينادي أصحابه وأتباعه، يقول لهم ويهتف بهم كما هتف لوط بقومه: ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾[هود: ٧٨] الإسلام اليوم يهتف بالناس: أليس منكم رجل رشيد؟ ! رجلٌ رشيدٌ، رشده يقيم شرع الله ﷻ في نفسه وبيته ومجتمعه، يدعو إلى الله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أليس منكم رجل رشيد؟ ! اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك، اللهم يا مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على دينك.

عباد الله: نختم الحديث عن الرجال بعد ثلاث خطب مباركات أسأل الله أن ينفع بها بمواقف للرجال، وأعظم مواقف الرجولة وقفها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأعظمهم رجولة وشجاعة نبينا محمد-ﷺ- الذي نسأل الله أن يحشرنا وإياكم في زمرته ويسقنا من حوضه شربة لا نضمأ بعدها أبدا.

وبعد الأنبياء يأتي الصحابة الكرام فهم خير الخلق بعد الأنبياء وسأقف معكم مع بعض المواقف، أول موقف مع **محمد الفاتح** وما أدراكم ما محمد الفاتح إنه غلام

عثماني تربى على القران وسمع الحديث الذي يقول فيه النبي -ﷺ- فيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن بشر الخثعمي عَنْ أبيه أنه سمع النبي -ﷺ- يَقُولُ: «**لتفتحنّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»، سمع الطفل محمد الفاتح هذا الحديث وكبر في ذهنه حتى إذا بلغ السبعة عشر ربيعاً حان الوقت الذي يحقق فيه حلم المسلمين، وتحقيق حديث رسول الله -ﷺ-.

ولقد حاول المسلمون منذ القرن الأول فتح القسطنطينية مرات عديدة، وقد قتل الصحابي أبو أيوب الأنصاري تحت أسوارها، وادُّخِر فتحها لهذا السلطان العثماني الذي كان نعم الأمير وجيشه نعم الجيش، إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

سيد قطب «صاحب الظلال»:

ومن مواقف الرجال: موقف صاحب الظلال رحمه الله، عندما طُلب منه أن يؤيد العبد الخاسر بكلمات يكتبها فقال رحمه الله: «**إن السبابة التي أشهد بها في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يمكن أن تكتب سطراً فيه ذل أو عبارة فيها استجداء**». وعندما سِيق رحمه الله إلى حبل المشنقة يوم(٢٩) من أغسطس عام(١٩٦٦م) كان من المعتاد أن يحضر شيخ ليلقّن الذي ينفَّذ فيه حكم الإعدام الشهادتين، فقال له رحمه الله: «**إنني لم أقف هذا الموقف إلا من أجل لا إله إلا الله محمد رسول الله**»! فهناك أُناس يأكلون الخبز بلا إله إلا الله وآخرون يقدمون رؤوسهم إلى المشانق من أجل لا إله إلا الله! ».

إنها الرجولة الحقة بكل معانيها ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣]، إنها الرجولة الحقة بكل معانيها.

أطفال الحجارة:

الحديث عن الرجولة في العصر الحاضر يُذكرنا أطفال الحجارة، أطفال وشباب فلسطين، إنهم أبطالٌ في أفعالهم، رجال في مواقفهم، هم بحقٍ يصدق فيهم وصف الرجولة، فقد تربوا على مائدة القرآن، يجاهدون في سبيل الله.

رجولة تأبى الطغيان والاستسلام للمعتدين، لا يهابون طلقات القذائف، بل يتصدون لها بصدورهم وقلوبهم حتى يُحرر القدس الشريف، إنها هِمَمُ رجال ترفض المهانة والذل. هؤلاء الأطفال أُعتقل آباؤهم، وهُدّمت بيوتهم، وهم يشهدون ذلك بناظريهم إن هذا الطفل لا يملك سوى حجر، لكنه يرى نفسه شامخاً يتحدى دبابة الاحتلال دون خوفٍ أو وجل. والأمهات يباركن خطوات فلذات أكبادهن نحو الموت والشهادة.

عباد الله: الرجولة تُذكرنا بغزة غزة الصمود غزة الإباء غزة الحرية غزة الكرامة.

يا رجال غزة علمونا بعض ما عندكم فقد نسينا
علمونا أن نكون رجالا فلدينا الرجال صاروا عجينا
علمونا كيف الحجارة تغدو بين أيدي الأطفال ماساً ثمينا
كيف تغدو راحة الطفل لُغما وشريط الحرير يغدو كمينا
يا رجال غزة لا تبالوا بإذاعاتنا ولا تسمعونا
علمونا فن التشبث بالأرض ولا تتركوا الأقصى حزينا

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة

الراشدين.

هادم اللذات

الحمد لله مُجيبِ الدّعوات، مُجزل العطايا والهِبات، يجيبُ دعوةَ المضطرّين ويكشِف السوء ويُنزل الرّحمات، أحمده تعالى وأشكُره، وأثني عليه وأستغفِره، سبحانه ربَّنا ما أعظمه، سبحانه ربَّنا ما أحلمه، يُطاع فيشكر، ويُعصَى فيغفِر.

وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، يُعطي ويمنع، ويُخفِض ويرفع، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وللّه في كل تحريكةٍ ... وفي كل تسكينةٍ شاهد

وفي كل شيءٍ له آية ... تدل على أنه الواحد

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: .. عباد الله: .. أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأن نُقدِّم لأنفسنا أعمالاً صالحة مباركه تُبيض وجوهنا يوم نلقاه ﷻ. . ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]. . ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيداً. . ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه أن يُحبب إلينا الإيمان ويُزينه في قلوبنا وأن يُكرِّه إلينا الكفر الفسوق والعصيان ويجعلنا من الراشدين.

مع من سنقف وإياكم اليوم؟ سنقف وإياكم مع الزوار مع الضيوف الذين نستقبلهم طوال حياتنا.

من هؤلاء الضيوف من هؤلاء الزوار؟

هؤلاء الضيوف لهم مدة محددة يعلمها الله ﷻ، لان الضيف لا يطيل، من الناس من يحسن استقبال هؤلاء الضيوف والتعامل معهم.

مِن هؤلاء الضيوف: **المصيبة**، فالمصيبة تزورك يا عبد الله ولها مدة محددة يبتليك الله بها أتصبر أم لا، أتشكو حالك إلى الناس أم تشكو حالك إلى الملك جل وعلا ولسان حالك: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

تأتيك المصيبة يا عبد الله أتتذلل لمخلوق أم تقول إنا لله وإنا إليه راجعون وتصبر وإنما الصبر عند الصدمة الأولى.

ومن هؤلاء الضيوف: **النعمة والعافية** يبتليك الله بها أتشكر أم تكفر، أم تنسى حال النعمة وتسأل وتجأر حال النقمة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء: ٨٣].

ومن هؤلاء الضيوف: **هذه الأيام وهذه الدقائق** التي نعيشها ما هي إلا ضيوف تحل علينا ثم تنطلق، وما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي: ابن ادم أنا يومٌ جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني فأني لا أعود إلى يوم الوعيد، وما أنت يا ابن ادم إلا أيام معدودات إذا ذهب يومٌ ذهب بعضك حتى تنتهي ويقال مات فلان.

عبد الله: اليوم «٢٤» ساعة كل ساعة خزانة فارغة فأملآها بما تريد املآها بالذكر والقرآن والإحسان والإيمان، أو املآها بالشر والكف والعصيان فإذا ما انتهت الساعة

أُغلقت تلك الخزانة ولن تُفتح إلا يوم القيامة وحينئذٍ يُقال لك: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾[الإسراء: ١٤].

ومن الضيوف الذين يحلون علينا: **المرض** يبتلينا الله ليكفر الله به من خطايانا ويمتحن صبرنا ويُذكّرنا بنعمة العافية.

ومن هؤلاء الضيوف شهر رمضان الذي أُنزل فيه القران، هذا الضيف المبارك الذي يستمر عندنا أياماً معدودات ثم ينطلق فمن الناس من يغتنم هذا الضيف فيفوز بالعتق من النيران، ومن الناس من يُفرِّط فيه ويخرج من بين يديه بلا شيء.

ومن هؤلاء الضيوف والزوار، : **الزائر الأخير** الذي ليس بعده زائر والضيف الذي ليس بعده ضيف إلا وهو الموت مفرق الجماعات وهادم اللذات وميتم البنين والبنات.

ولابد من وقفة مع هذا الضيف الأخير.

عباد الله: . . كلنا يكره هذا الزائر الأخير، كلنا لا يحبه فلماذا؟

لماذا نكرهه؟ مع أن النبي -ﷺ- حين خُيّر بين البقاء في الدنيا والموت قال: «**بل الرفيق الأعلى**»، وعلى دربه سار أصحابه الذين كانوا يُرحبون بالموت ويُحسنون استقباله. فهذا بلال بن رباح مؤذن النبي -ﷺ- يأتيه الموت فتبكي زوجته وتولول وتقول وكرباه عليك يا بلالاه وأحزناه عليك يا بلالاه، فقال بلال -رضي الله عنه- «**لا تقولي وكرباه بل قولي وطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه**».

وهذا أبو هريرة -رضي الله عنه- يأتيه الموت فيقول: « **اللهم إني أُحب لقاءك فأحب لقاءي مرحبًا بالموت حبيبًا جاء على فاقة**».

تُرى ما الفارق بيننا وبينهم؟

لماذا نكره قدومه؟ لماذا نخاف زيارته؟

لماذا يرتعد القلب وجلاً من ذكره؟

ما هي الأسباب؟

نحن نخاف الموت أولاً حياءً من الله:

قيل لأحدى التابعيات: أتحبين الموت؟ قالت لا، قيل ولم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما أحببت لقاءه فكيف أُحب لقاء الله وقد عصيته.

أخي..... قل:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعصي الهوى فالهوى مازال فتانا

نحن نخاف الموت ثانياً لأننا لا ندري أين النزول وإلام المصير؟

هل نحن من الفائزين السعداء؟ أم نحن من الخاسرين الأشقياء؟

وقالت امرأة مسروق بن الاجدع -رحمه الله-(١) : ما كان مسروق يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: **مالي لا أجزع، وإنما هي ساعة، ولا أدري أين يُسلك بي؟ بين يديّ طريقان لا أدري إلى الجنة أم إلى النار؟..** [صفة الصفوة ٣/ ١٧].

وكيف تنام العين وهي قريرةٌ ولم تدر في أي المحلين تنزلُ

---

(١)مَسْروق بن الأجْدَع(٠٠٠ - ٦٣ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٣ م)
مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب عليّ. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء .

لما حضرت أحمد بن خضرويه[١] المنية سُئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: «**يا بني كنت أدق بابه خمساً وتسعين سنة وها هو يفتح الساعة، لا أدري يُفتح بالقبول والسعادة أو الشقاوة فأنّى لي أوان الجواب؟ ؟ ؟ ؟**».

الموت بابٌ وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الموت ما الدار

الدار دار نعيمٍ إن عملت بما يُرضي الإله وان فرّطت فالنار

دخلوا على الشافعي: وهو يموت فقيل له كيف أصبحت؟ فقال: «أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأُهنيها أم إلى النار فأُعزيها» ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجاءي نحو عفوك سُلّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منَّةً وتكرما

ولما حضرت إبراهيم النخعي[٢] : الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: « انتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار».

عباد الله:

نحن نخاف الموت ثالثاً لقلة الزاد: ماذا قدّمنا؟ هل عملنا أعمالاً تُبيّض وجوهنا يوم نلقى الله؟ هل عملنا أعمالاً تثبتنا عند قدوم الموت؟ .

قال جل وعلا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ

---

(١)أحمد بْن خَضْرَوَيْه البلْخيّ الزّاهد، أبو حامد، [الوفاة: - ٢٤٠ هـ]من كبار المشايخ بِخُراسان. صحِب حاتمًا الأصمّ، وأبا يزيد البِسْطاميّ. قال السُّلَميّ في " تاريخ الصُّوفيَّة ": أحمد بْن خَضْرَوَيْه من جِلّة مشايخ خُراسان.

(٢)الامام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الاعلام، وهو ابن مليكة أخت الاسود بن يزيد. أحد الأئمة المشاهير، تابعي رأى عائشة رضي الله عنها ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع.

﴿أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠].

تحسّر بعض الناس عند موته فقيل له: ما بك؟ فقال: «ما ظنكم بمن يقطع سفراً طويلاً بلا زاد، ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ويقوم بين يدي حَكَم عَدْل بلا حُجّة».

عبد الله!! **ما أخبار زادك؟**

يا من عشت للدنيا! يا من عشت للكرسي الزائل! يا من عشت للمنصب الفاني! يا من ظننت أن كرسيك لا يزول! ويا من ظننت أن منصبك لا يفنى! أين الحبيب رسول الله؟ ! أين سيد الخلق؟ ! أين حبيب الحق؟ ! أين من قال له ربه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنبياء: ٣٤]؟ !

بكم ركعة في جوف الليل أعتقت رقبتك من النار؟ بكم يوم صمته في شدة الحر اتقيت حر جهنم؟ بكم شهوة تركتها ترجو نعيم الأبد؟ ؟

نحن نخاف الموت رابعاً لأننا مسرفون على أنفسنا بالمعاصي.

فالمسرفون في المعاصي يخافون القدوم، ويهابون المنون أساءوا فخافوا، وعاثوا فهابوا، ماتوا فلاقوا ما كانوا يحذرون.

عباد الله: إنَّ هذا الزائر الأخير أرسل الله لنا برقيات قبل وصوله رحمةً بنا لعلّنا نتوب لعلنا نرجع لعلنا نعود.

عبد الله

قد بعث إليك الله؟ برقيات تُعلمك بقرب وصول أجلك. . . ما هي:

أولاً المرض: لمّا مرض عبد الملك بن مروان مرض الموت جعل يلوم نفسه ويضرب بيده على رأسه ويقول: «**وددت أنني كنت اكتسبت يومًا بيوم ما يكفيني، واشتغلت بطاعة الله**».

انه المرض يا عباد الله: كم من متكبرين وأعزاء أذلهم المرض! ! كم من أقوياء أضعفهم المرض! كم من أغنياء أفقرهم المرض! .

فيا من استبعد موته وأطال أمله ونسي قبره. .

إنَّ الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع نحبٍ قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ثانياً من بوقيات الموت الشيب: فالله الله في العمل قبل المشيب.

يا مسكين. . أحين يُعطيك القوة تنساه؟ وحين يُسلبك إياها تذكره؟ أُفٍ لك. . أما تعلم أنه ما من شعرة تبيّض إلا وهي تقول للتي تليها: أختي قد جاء الموت فاستعدي له.

أخي. . الشيب رسول الله إليك يخبرك بدنو أجلك فأعد لما بعده.

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كِبَر أجسادها
وأصبحت أمراضها تعتادها ... تلك زروع قد دنا حصادها

واعلم أنك على سفر، وأنك مغادر لا محالة.

وإذا رأيت بنيك فاعلم أنهم ... قطعوا إليك مسافة الآجال
وصل البنون إلى محل أبيهم ... وتجهز الآباء للترحال

رحم الله الحسن البصري حين أيقظ الشيوخ بقوله: «يا معشر الشيوخ. . ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد وأيقظ الشباب بقوله: يا معشر الشباب. . إن الزرع قد تبلغه العاهة قبل أن يبلغ».

أيا عبد كم يراك الله عاصياً حريصاً على الدنيا وللموت ناسيا
نسيت لقاء الله واللحد والثرى ويوماً عبوساً تشيب فيه النواصيا
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تجرد عرياناً ولو كان كاسيا
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حيَّاً وباقياً
لكنها تفنى ويفنى نعيمها وتبقى الذنوب والمعاصي كما هيا

كم ستعيش؟ إن عمرك في حساب الزمن لحظات، وما هي النتيجة؟ وما هي النهاية؟ يا **أيها الإنسان!** يا أيها الكبير! ويا أيها الصغير! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ٣٠﴾[القيامة: ٢٦-٣٠].

ويُفتح سِجِلُّكَ يا مسكين! ويُفتح ملفك يا غافل! وإذا به ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾[القيامة: ٣٢]، سمع الأذان وسمع النداء يقول: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، وهو ما زال جالساً على المقهى في معصية الله جل وعلا، لم يُجِبْ نداء الحق جل وعلا.

ثالثاً: من رسائل الموت فراق الأحبة.

كان الرجل من السلف يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون كدت والله أن أكون أنا الميت فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً.

افهم يا هذا ما أقول: كان ملك الموت قريباً منك في الدار التي تجاورك وقبض منها أخاك، وكان من الممكن أن يغير وجهته، ويقبضك لكن الله أعطاك فرصة أخرى ومد لك في العمر حتى تفيق فهل أفقت؟

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده - تعالى - ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

أيها المسلمون: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» [صحيح، أخرجه أحمد «٢/ ٢٩٢وغيره وصححه الألباني بشواهده، إرواء الغليل «٦٨٢»].

بهذا أوصى نبيكم محمد -ﷺ-.

كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة؛ فمن ذكر الموت حق ذكره حاسب نفسه في عمله وأمانيه ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة، كما يقول القرطبي رحمه الله:

«**أكثروا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، فما ذكره أحد في ضيقٍ من العيش إلا وسّعه، ولا سعة إلا ضيّقها**».

لقد وقف نبيكم محمد -ﷺ- على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدوا**» [حسن، أخرجه أحمد «٤/ ٢٩٤» وغيره والألباني في السلسلة الصحيحة

«١٧٥١»].

وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال: من أكيس الناس يا رسول الله؟ فقال: «**أكثرهم ذكرًا للموت وأشدهم استعداداً له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة**» [حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة «١٣٨٤». وغيره].

إن الموت حقيقة لا تُنكر، ورحم الله الفضيل بن عياض رحمه الله [1] إذ لقيه رجل فسأله الفضيل عن عمره فقال الرجل: عمري ستون سنة، قال الفضيل: إذاً أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل: هل عرفت معناها؟ قال: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إلى الله راجع، فقال الفضيل: يا أخي! إن من عرف أنه لله عبد وأنه إلى الله راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول فَلْيُعِدَّ للسؤال جواباً، فبكى الرجل وقال: يا فضيل! وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة.

قال: ما هي يرحمك الله؟ قال: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

أيها المسلمون: اذكروا الموت والسكرات، وحشرجة الروح والزفرات، اذكروا

---

(١)الفُضَيْل بن عِيَاض(١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م)
الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكيّ، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعيّ. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. من كلامه: " من عرف الناس استراح ".

هول المطلع.

من أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت ابتلي بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

كفى بالموت للقلوب مقطّعاً، وللعيون مبكياً، وللذات هادماً. وللجماعات مفرقاً. وللأماني قاطعاً.

استبدل الأموات بظهر الأرض بطنًا، وبالسعة ضيقًا، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، جاءوها حفاةً عراة فراداً.

اللحود مساكنهم، والتراب أكفانهم، والرفات جيرانهم لا يجيبون داعيا، ولا يسمعون مناديا. كانوا أطول أعمارا وأكثر آثارا، فما أغناهم ذلك من شيء لما جاء أمر ربك، فأصبحت بيوتهم قبورا، وما جمعوا بورا، وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقومٍ آخرين.

حلَّ بهم ريب المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون: ١١٥].

عباد الله:

تذكُّر الموت يردع عن المعاصي، ويُليِّن القلب القاسي، ويمنع الركون إلى الدنيا، ويهون المصائب.

احذر لا يأخذك الله على ذنب فتلقاه ولا حجة لك.

عباد الله: أين الهروب من الموت:

نشرت مجلة القصيم السعودية أن شاباً في دمشق حجز ليسافر وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا وعليها أن توقظه إن دنا الوقت، ونام هذا الشاب، سمعت أمه أخبار الأحوال الجوية في التلفاز، وعلمت أن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية فأشفقت على وحيدها فلم توقظه أملاً في أن تفوته الطائرة.

ولما تأكدت أن الرحلة قد أقلعت، أتت إلى ابنها لتوقظه فوجدته ميتاً في فراشه! فر من الموت، وفي الموت وقع، ومن المقدور لا ينجي الحذر، وصدق ربنا: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

تأمل يا عبد الله....

أنظر إلى هذه النماذج التي اصطحبت معها في قبرها ما تتقرب به إلى ربها لتنال بها الشفاعة:

سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: آخر العشرة المبشرين بالجنة موتا، وقد أوصى أن يكون شاهد إثباته جُبّة صوف كان لقي المشركين فيها يوم بدر، فقال: أُخبئها لهذا، فكُفِّن فيها.

وها هو **علي بن عبد الله بن حمدان «سيف الدولة»** رحمه الله[1] جمع من نفض الغبار

---

(١)صاحب حلب وغيرها وأخو ناصر الدولة الحسن.
كان مقصد الوفود، ومطلع الجود، وكعبه الأمال، ومحط الرحال، وكان أديبًا شاعرًا. ويقال: إنه لم يجتمع بباب ملك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء، وكان يقول: عطاء الشعراء من فرائض الأمراء، قد اختار من مدائح الشعراء في سيف الدولة عشرة آلاف بيت. وُلد سيف الدولة سنة إحدى،

الذي اجتمع له من غزواته شيئاً، وعمله لبنة بمقدار الكف، وأوصى أن توضع في لحده، فنُفِّذت وصيّته.

وها هو **القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق** رحمه الله: أحد الفقهاء السبعة الذي أوصى وقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أتهجد فيها.

ترى. . ما حالك أنت يا عبد الله؟ أي عمل من الصالحات سيؤنس وحشتك بعد موتك؟ جبة قتال، أم ثياب تهجد أم صلة رحم أم ركعات في الليل أم طاعة والدين أم حسن خلق؟ ؟

أخي. . بادر من الآن. . الآن. . الآن. . أخي غداً تسافر فأين زادك؟ ؟ أَنَقْلة إلى غير مسكن؟ ؟ أسفرٌ من غير تزود؟ أقدومٌ إلى بلاد ربح بغير بضاعة.

هَيَّا جميعاً لِنَتُبْ إلى الله جل وعلا في هذه الساعة المباركة، تعالوا بنا لنجدد التوبة والأوبة والعودة، ولنكن على يقين جازم بأن الله جل وعلا لا يغلق باب التوبة في وجه أحد طرقه في ليل أو نهار: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

يا من أسرفت على نفسك في المعاصي! أَقْبِلْ إلى الله جل وعلا، ولا يَصُدَّنَّكَ الشيطان عن الله، واعلم بأن الله كريم، واعلم بأن الله رحيم، واعلم بأن الله سيغفر لك أي ذنب ما دمت موحداً لله جل وعلا.

أخي يا عبد الله:

ويقال: سنة ثلاث وثلاث مائة، وكان موصوفًا بالشجاعة، له غزوات مشهورة مع الروم، وكان مثاغرًا لهم.

١- احرص على زيارة المقابر مرة في الشهر وادع في هذه الزيارة لأموات المسلمين من عرفت منهم ومن لم تعرف.

٢- شيّع جنازة كلما استطعت واذكر قوله -ﷺ- كما في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: «**من تبع جنازة إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يُصلّى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن يدفن فإنه يرجع بقيراط من الأجر**».

٣- لا تصرف جزءاً من وقتك في عمل تندم عليه بعد الموت واملآ أوقات فراغك بما يفيدك في أمر دنيا أو أمر آخرة.

٤- اعف عمن ظلمك. . صل من قطعك. . أعط من حرمك فالدنيا جيفة لا تستحق التنازع من أجلها وكلنا على سفر منها عاجلا أو آجلا.

٥-أنفق مالك قبل أن يوزع غدًا على الورثة، وكلما كان إنفاقك في الدنيا أكثر كانت أملاكك في الجنة أكبر.

٦- إذا صليت فصلّ صلاة مودع وكأنها آخر صلاة.

أسأل الله أن يحسن ختامنا وان لا يميتنا إلا وهو راضٍ عنا وصلوا وسلموا على عبد الله ورسوله فقد أمركم الله بذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين وعن التابعين.

الصحبة والصداقة

الحمد لله الجواد الكريم الشكور الحليم، أسبغ على عباده النعم ودفع عنهم شدائد النقم وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل العظيم، والخير العميم.

إذا كنت تغدو في الذنوب بعيدا ... وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأفاض من نعمائه عليك مزيدا
لا تيأسنّ من لطف ربك في ... في بطن أمك مضغة ووليدا
الحشا ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى والله وطاعته وخشيته ومراقبته؛ فمن اتقى الله وقاه وحماه وسدد خطاه.

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[الزخرف: ٦٧]

أيها المسلمون:

إن من الأمور التي فطر الله تعالى الإنسان عليها في هذه الحياة: الصديق والصاحب، فلا بد للمرء في هذه الحياة من جُلساء وأصحاب، يتحدث معهم،

ويتحدثون معه، يبث إليهم همومه ويشكو إليهم أحزانه ويستشيرهم فيما يُلمّ به من ملمات وأمور.

عباد الله: إن ميزان الإنسان أصدقاؤه، فقل لي من تصاحب ومن تجالس أقل لك من أنت، والناس تعرِف المرء صالحًا أو طالحًا من خلال من يصاحب ومن يساير.

أنت في الناس تقاس بمن أخترت جليسا فاختر الأخيار تعلو وتنل ذكراً جميلاً

ولقد جسّد ذلك محمّداً -ﷺ- بقوله: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» [أخرجه أبو داود بإسناد صحيح].

عباد الله: جاءت وصايا السلف الصالح في الحث على اختيار الأصدقاء وانتقاء الأصحاب والأخلاء، ومن ذلك قول أحدهم: «**اصحب مَن إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أصابتك فاقة جاد لك بماله، وإذا رأى منك حسنةً عدّها، وإن رأى سيئة كتمها وسترها**».

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: «**يا بني إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف المسلول، يعجبك منظره، ويَقبُح أثره، يا بني ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة، يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً، فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فدعه**».

وقيل لخالد بن صفوان[1] : أي إخوانك أحب إليك؟ قال: «**الذي يغفر زللي، ويقبل عِللي، ويسد خللي**».

---

(١)العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهتمي، البصري. وقد وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين.

أخي الحبيب: اصحب من يذكرك بالله، من يعينك على الطاعة، من يستر عيوبك، من يخلص لك في النصيحة.

وقال أحد السلف: «**اصطفِ من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب، فإنه عونٌ لك عند حاجتك، ويدٌ عند نائبتك، وأُنسٌ عند وحشتك، وزينٌ عند عافيتك**».

أيها الأكارم:

إن الصداقة الزائفة، والمحبة المبنية على المصلحة والمنفعة العاجلة، فإن الحب فيها مصطنع مزيف، إذا هبّت عليها رياح المصلحة فرّقتها ومزقتها؛ لأنها لم تُبن على أساس راسخ ولا أصل ثابت. يصاحبك، يجالسك، يضاحكك، حتى اذا قضى حاجته ومصلحته كأنه لم يعرفك ولم تعرفه.

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد مخلصاً

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «**عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينٌ في الرخاء، وعُدةٌ في البلاء، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى**».

عباد الله: علّمنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نقرأ يوم الجمعة سورة الكهف، وأنا أتأملها اليوم توقفت ملياً عند قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف: ٢٨].

فإذا هي جامعة لأصول اختيار الأصدقاء، نافعة في تحديد صفاتهم.

إنها وصية ربانية مهمة لكل مسلم، بأن يبذل جهده ويُصبّر نفسه ملازماً ومجالساً ومصاحباً لأهل الخير والذكر والإيمان.

أيها المسلمون: لكم أن تسألوا أهل السجون كيف وصلوا إلى قضبان الحديد،

وكيف وُضِعت في أيديهم وأرجلهم القيود، إنه بلا شك بواسطة أصدقاء السوء.

اسألوا أهل المعاصي والمخدرات كيف وقعوا في ذلك؟ انه بواسطة أصدقاء السوء، فالصاحب ساحب، فكم من أخيار صاحبوا فجار فضاعوا، وكم من فجار صاحبوا أخيار فصلحوا.

أيها الأب الكريم: أولادك من يصاحبون؟ من يجالسون؟ مع من يسهرون؟ انتبه أنت مسؤول عنهم يوم القيامة.

وسائل الإفساد كثيرة هذا العصر: المخدرات، مواقع الإنترنت، مقاطع الفساد، الجوالات وما ادراك ما الجوالات.

أيها المسلم: إن صديق السوء لو لم تجني منه إلا السمعة السيئة لكفاك سوءاً. وصديق الصلاح لو لم يصلك منه إلا السمعة الحسنة لكفاك.

عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله: الجليس الصالح إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذرك من معصية، أو يحثك على طاعة، أو يدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، بقوله وفعله.

قال عديّ بن زيدٍ رحمه الله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي
وصاحب أولي التقوى تنل من ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

تُقاهم

وفي الحديث أنه -ﷺ- قال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**» [رواه أبو داود والترمذي].

والصديق الفاسد والجليس السوء إما أن تنساق معه إلى مواقع الإثم ومواطن الريَب فتمسّك نار المعصية في الدنيا وتصلى نار جهنم في الأُخرى، وإما أن تنالك خبيث رائحته واقتباس سيرته فتجد ما يؤذيك من قولٍ وعمل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء: ٣٨].

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخر يفسُدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ ... والجمر يوضع في الرماد فيخمُدُ

ولا أدلّ على شدة تأثير الجليس على جليسه والصديق على صديقه مما رواه البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب -رضي الله عنه- عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -ﷺ- وعنده عبد الله بن أمية وأبو جهل بن هشام فقال له: «**يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب، فأعاد عليه النبي -ﷺ-، فكان آخر الأمر أن قال: هو على ملة عبد المطلب. فمات على الشرك وأصبح حطب جهنم بسبب جلساء السوء ودعاة الضلالة.

وفي أبي طالب وأمثاله نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ [الفرقان: ٢٨]

لماذا يندم على صحبة فلان وعلان؟ هل لأنه لم يعطيه من ماله؟ هل لأنه لم

يشفع له، هل لأنه لم يصاهره؟ لا اسمع إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٩]

فتّش في أصحابك، فتّش في أصدقائك: انتبه يكون واحد فيهم تندم على صحبته يوم القيامة.

وهذا كتاب الله يقصّ علينا حوارًا معبّرًا عن أثر القرين إلا من حمى الله ووقى، يقول تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥١-٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:..

عبد الله:

فلا تصحب أخا الفسق وإياك وإياه
فكم من صاحبٍ أردى مُطيعاً حين آخاه

يُقـــاس المـــرء بـــالمرء إذا مـــا المـــرء مـــا شـــاه
وللنـــــاس علـــــى النـــــاس مقـــــاييس وأشـــــباه
وللقلـــــب علـــــى القلـــــب دليـــــلٌ حـــــين يلقـــــاه

وإن من الخيبة – والله – أن ترى المرء لا تنبسط أساريره إلا مع قرناء السوء، ويصطفي لنفسه من مجموع هذه الخلائق أراذل الناس، إن همَّ بخير ثبطوه، وإن أبطأ عن سوءٍ عجّلُوه، وإن استحيا من منكر شجعوه وهونوه، فهم دعاة له على طريق جهنم، إن استمر معهم أردوه في أبأس عاقبة وأتعس مصير، وكانت عاقبته الندامة والعض الشديد على اليدين ندمًا على صحبتهم.

عباد الله:

قال أحد العلماء: الأصحاب ثلاثة: صاحب كالهواء، وصاحب كالدواء، وصاحب كالداء، فأما الصاحب الذي كالهواء فهو الذي لا تستغني عنه، فإذا انقطع الهواء عنك مت، فهو الذي يقربك من الله، ويدلك على الله، ويحبب إليك ذكر الله، فهذا الصاحب كالهواء، لا تفارقه دائماً وأبداً ما استطعت، زره، وجالسه، واسأله، وادع له.

وصاحب كالدواء، وهؤلاء أهل المنافع، لا تحتاج إليه إلا وقت الطلب، وضربوا على ذلك أمثلة، مثل: الفرَّان أو الخباز، تحتاج إليه إذا أردت خبزاً، والخياط تحتاجه عندما تحتاج ثوباً، والنجار لإصلاح الأبواب، والمهندس للسيارة، فلا يحتاج إليه إلا وقت الحاجة.

وصاحب كالداء يُعديك، وهذا السُم الزعاف، وهذا الذي يقربك من النار،

ويقودك إلى الخزي في الدنيا والآخرة - والعياذ بالله - وهذا أُهرب منه، وفر منه فرارك من الأسد، واجعل ثوبك في فمك، وتوكل على الله واهرب.

قال أحد الصالحين: «**إذا رأيت الرجل يتهاون في تكبيرة الإحرام مع الجماعة، فاغسل يديك منه**»، يعني: تُب من مرافقته وقالوا: إذا رأيت الإنسان يتهاون عن فرائض الله، فلا تصاحبه قيد أنملة.

وقال جعفر الصادق[1] لابنه: «**يا بني! لا تصاحب ثلاثة: لا تصاحب عاق الوالدين فقد لعنه الله، ولا تصاحب فاجراً فيعديك بفجوره، ولا تصاحب كذاباً، فإن الكذاب يُقرّب لك البعيد، ويبعد عنك القريب**». وهذه من أحسن الوصايا.

قال ابن كثير رحمه الله: «**صاحَب الكلب أهل الكهف وهم صالحون فذكره الله في القرآن**».

كلبٌ صاحب الصالحين فتشرف بهم، وذكره الله في القرآن، وما نسيه سبحانه، والله لا ينسى، فقال: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

عباد الله: جزاء من صاحب الصالحين ثلاثة أمور:

أولاً: أن يزيده الله علماً وفهماً وتوفيقاً.

ثانياً: أن تُدركه دعوتهم في الدنيا.

---

(١)(٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥ م)جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط.

ثالثاً: أن ينال شفاعتهم في الآخرة.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «**أن رجلاً سأل النبي -ﷺ- عن الساعة. فقال: يا رسول الله متى الساعة. قال: وما أعددت لها؟ . قال: لا شيء، إلا أنى أحب الله ورسوله. فقال: أنت مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي -ﷺ-: أنت مع من أحببت. قال أنس فأنا أحب النبي -ﷺ- وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بُحبِّي إياهم وإن لم أعمل بعملهم**».

ونحن نشهد الله أننا نحب رسول الله وأبا بكر، وعمر، وعثمان وعليّ وجميع أصحاب الحبيب النبي-ﷺ-، وكل التابعين لنهجه وضربه المنير، ونتضرع إلى الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم جميعاً بمنّه وكرمه، وهو أرحم الراحمين.

قال الشافعي:

أُحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواءً في البضاعة

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

كيف يكون بيتك سعيداً

الحمد لله الكريم الحليم الحمد لله الغفور الرحيم سبحانه لا نحصي ثناءً عليه وله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسماء مالك الملك والملكوت ذي العزة والجبروت.

إلهي:

مهما كتبنا في عُلاك قصائداً ... بالدمع خُطّت أو دم الأجفان
فلأنت أعظم من مديحي كله ... وأجّلُّ مما دار في الحسبان

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير بشرٍ وطئت الثرى قدمه، ونطق بالحق فمه، وجرى في عرق دمه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

عباد الله:

كلنا يبحث ويريد البيت المسلم السعيد البيت الذي فيه المأوى الكريم والراحة النفسية، البيت الذي ينشأ في جنَباته جيلٌ صالح فريد.

فما هو البيت السعيد، وكيف تكون بيوتنا سعيدة؟

عباد الله: البيت المسلم السعيد قائم بين الزوجين على عنصرين:

قال جل شأنه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم: ٢١].

الأول: المودة: وهي شعور متبادل بالحب يجعل العلاقة قائمة على الرضا

والسعادة. .

والثاني: الرحمة، فالله سبحانه يقول لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإذا لم يتوفر هذان العنصران في الحياة الزوجية تحولت إلى حياة بهيمية، يلتقي فيها الرجل والمرأة كما يلتقي البهيم بالبهيمة، ولا علاقة ولا مودة ولا رحمة ولا تقدير ولا احترام، وإنما مشاكل على مشاكل حتى تصبح حياة كل من الرجل والمرأة معقدة، ويترتب على ذلك كراهية الإنسان حتى لنفسه، وكل هذا نتيجة عدم علم كل من المرأة والرجل بالواجب والمسؤولية الملقاة على عاتقهما تجاه بعضهما البعض.

عباد الله:

البيت نعمة لا يعرف قيمته وفضله إلا من فقده وعاش في ظلمات سجن أو في غربة أوفي فلاة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[النحل: ٨٠]

البيت نعمة من نعم الله على عباده يجد المسلم فيه راحته وهدوء باله.

عباد الله:

إنّ طريق الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة لا يبدأ إلا بِصلاح البيوت وتربيتها على الإيمان والقرآن والذكر.

أما الخسارة فستكون فادحة وعظيمة يوم يخسر الإنسان أهله ويُضيّع من يعول، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

البيت السعيد أمانةٌ يحملها الزوجان وبهما تنطلق مسيرة هذا البيت فإذا استقاما على منهج الله قولاً وعملاً وتزيناً بزينة الإيمان ظاهراً وباطناً، وتجملا بحُسن الخلق

والسيرة الطيبة، أصبح هذا البيت مأوى النور وإشعاع الفضيلة وأصبح منطلقاً لبناء جيلٍ صالح وصناعة مجتمع كريم وأمه عظيمة وحضارة راقية.

وصدق النبي المصطفى -ﷺ- حين قال: «**كلكم راع وكلم مسؤول عن رعيته**».

إخواني:

البيت السعيد هو البيت الذي جعل منهجه الإسلام قولاً وعملاً.

البيت السعيد هو الذي يقوم على التوحيد لله جل وعلا والتوكل عليه والاستعانة به فمنذ لحظة الولادة، فعقب تلك اللحظة نؤذن في أذن المولود اليمنى، ونقيم الصلاة في أُذنه اليسرى، والأذان والإقامة كلاهما توحيد، لذا كان من السنة المطهرة أن تكون كلمات التوحيد هي أول كلمات يسمعها المولود فور خروجه من رحم أمه وقدومه إلى الدنيا.

البيت السعيد هو حصانة للفطرة من الانحراف، كما قال -ﷺ-: «**كُلُّ مَوْلود يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانَهُ أَوْ يُنَصِّرَانَهُ أَوْ يُمَجِّسَانَهُ** »[متفق عليه].

قال ابن القيم رحمه الله «**وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترْك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صِغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً**».

عباد الله:

ما أجمل أن يجمع الأب أبناءه فيقرأ عليهم القرآن ويعلمهم، ويسرد عليهم من قصص الأنبياء والصحابة ويغرس فيهم الأخلاق العالية.

إنّ أهم رسالة للبيت المسلم هي تربية الأولاد التربية الصحيحة لا غبش فيها ولا تشوه ولا تربية إلا بتحقيق القدوة الحسنة في الوالدين.

القدوة في العبادات والأخلاق.

القدوة في الأقوال والأعمال.

القدوة في المخبر والمظهر فيأمر الأب أولاده بالصلاة وهو أول المصلين، ويأمرهم بالأخلاق وهو أعلاهم خُلقاً، ويحثهم على الصدق وهو أصدقهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان: ٧٤]، وتدبَّر دعوةَ إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[إبراهيم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[طه: ١٣٢].

مشى الطاووس يوماً باختيالٍ فقلّده بمشيته بنوه
فقال علام تختالون قالوا بدأت به ونحن مقلدوه
وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

فالأولاد مفطورون على حب التقليد، وأول من يقلد الطفل أباه وأمه، لكن عندما انشغل الآباء عن تربية أبناءهم وأهملوا القيام بالقوامة على نساءهم والحفاظ على أبناءهم من قرناء السوء والضياع والدمار عند ذلك تحطّمت الأسر والبيوت وضاع جيل بعد جيل: فليتق الله كل الآباء.

أعلموا عباد الله: أنّ البيت إذا امتلأ بالشحناء والبغضاء والمشاكل والمخاصمات والسب والشتم والقطيعة، انعكست كل هذه الأخلاق على النشء، ووجد جيلٌ خامل، جيلٌ فاشل، لأنه اكتسب هذه الأخلاق كلها من الأبوين الأم والأب.

البيت السعيد من صفاته أنه يرُد الأمور عند الخلاف إلى الله ورسوله قال تعالى:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾[الأحزاب: ٣٦].

البيت السعيد سعادته وأُنسه ولذته في ذكر الله ففي الحديث الصحيح عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**». وفي الصحيح أيضاً قوله -ﷺ-: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا**».

وقال -ﷺ-: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» [رواه مسلم في صحيحه ح ٧٨٠، ١/ ٥٣٩].

وقال -ﷺ-: «**عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**» [رواه مسلم].

فبدون الذكر تغدو البيوت مكاناً للشياطين سكانها موتى القلوب وإن كانوا أحياء.

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[طه: ١٢٤] وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾[الزخرف: ٣٦].

البيت السعيد هو البيت البعيد عن المشاجرات والمهاترات وضرب الوجه والإهانة والإذلال سُئل النبي -ﷺ-: «**ما حق امرأة أحدنا عليه قال أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسبت ولا تقرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلى في الفراش**» [سنن أبي داود ح «٢١٤٢». وأخرجه أيضا أحمد «٤/ ٤٤٧» وابن ماجه ح «١٨٥٠»].

البيت السعيد ليس شرطاً أن يكون قصراً ليس شرطاً أن يمتلأ بالأموال والمأكولات والمشروبات.

ولكن يكفيه الكفاف والرضا بالمقسوم شعاره قول النبي -ﷺ-: «**من بات أمناً في سربه، معافى في بدنه، معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**» [صحيح الجامع ٥٩١٨].

جاء العباس: عمّ النبي -ﷺ- فقال يا رسول الله: علمني دعاء أدعو به، قال -ﷺ-: « **يا عم سل الله العافية في الدنيا والآخرة**».

يرحم الله هارون الرشيد الذي ملك الدنيا وكان أميراً للمؤمنين جلس ذات يوم فعطش فطلب الماء فلما أُحضر الكأس قال له قاضي القضاة: يا أمير المؤمنين لو أنك مُنعت هذه الشربة ماذا ستفعل؟ قال: سأدفع نصف ملكي. فأعطاه فشرب ثم قال له يا أمير المؤمنين لو مُنعت هذه الشربة من الخروج ماذا ستفعل؟ قال: سأدفع نصف ملكي. قال قاضي القضاة: تباً لملكٍ لا يساوي شربة ماء إدخالها وإخراجها.

وكان على -رضي الله عنه- بعد قضاء الحاجة يقول: «**يا لها من نعمة منسية قليلٌ شاكرها**».

فيا عبد الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة لك ولأهلك ولأحبابك.

البيت السعيد فيه يتغاضى كلٌ من الزوجين عن بعض ما لا يحب أن يراه في الآخر، ويضع كلاهما في حسبانه أنه إذا كره في الآخر صفة فلا بد أن تكون فيه صفة أخرى تشفع له. وهذا هو بعينه ما أشار إليه الرسول -ﷺ- حين قال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» [أخرجه مسلم وغيره].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات، والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو

الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

البيت السعيد يتعاون أفراده على الطاعة والعبادة فضعف إيمان الزوج تقويه الزوجة، واعوجاج سلوك الزوجة يقوّيه الزوج تكامل وقوة ونصيحة وتناصح قال - ﷺ- «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء «رش في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** » [أخرجه أبو داود وابن ماجه].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «**إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**» [رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له]

البيت السعيد يؤسّس على علم وعمل، بيتٌ تُقام فيه حِلق الذكر والعلم فيتعلم الجميع آداب الطهارة وأحكام الصلاة وآداب الاستئذان والحلال والحرام.

البيت السعيد أساسه قائم على الحياء فهو يزرع في قلوب أبناءه وبناته الحياء والحشمة، فلا يليق بالبيت المسلم أن يخدش حياءه ويهتك سترة بالأفلام الخليعة والمسلسلات الخبيثة والمجلات الفاسدة.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ

﴿بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩]

البيت السعيد أسراره محفوظة وخلافاته مستورة لا تُفشى من قبل الزوج ولا من قبل الزوجة.

فما يحوي البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى في أستار مسبلة، لا يطّلع عليها أحد مهما قرب، روى أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله -ﷺ- والرجال والنساء قعود عنده فقال: «**لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها**»، فأرم القوم أي سكتوا وَجِلِيْن فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: «**فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون**» [مسند أحمد «٦/ ٤٥٦-٤٥٧» انظر إرواء الغليل للألباني رقم «٢٠١١»].

وقال -ﷺ-: « **إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها** » [أخرجه أحمد. انظر آداب الزفاف للألباني ص «١٤٢»].

إخواني..

البيت السعيد شعاره الاعتدال والاقتصاد في المعيشة والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[الفرقان: ٦٧].

وسمته الإيثار واجتناب البخل والشُّح، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر: ٩].

وعلامته الوَرَع وترْك الشبهات، قال -ﷺ-: «**إن الحلالَ بَيِّن وإن الحرام بَيِّن،**

وبينهما مُشْتَبِهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» [متفق عليه].

البيت السعيد هو البيت المسلم الخالي من الصور التي حرمها الشارع على جدرانه وفي فنائه، ورسول الله -ﷺ- يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة**» [أخرجه البخاري ح «**٣٢٢٥**»، ومسلم ح «**٢١٠٦**»]

فما بال الكثيرين يغلقون أبوابهم في وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك؟ !

البيت السعيد بسيط في كل جوانبه ما دية ومعنوية بعيد عن الإسراف في المأكل والمشرب.

قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[الأعراف: ٣١].

البيت السعيد هو البيت الطاهر النظيف ظاهراً وباطناً فيه أناسٌ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين.

البيت السعيد يقوم على قواعد ثابتة من السكينة والهدوء والمودة والرحمة وهو بعيد عن الضوضاء ورفع الأصوات هذا البيت شعاره: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾[لقمان: ١٩].

البيت السعيد هو الذي فيه يعلم الزوج أن للزوجة حقوق وعليها حقوق، ومن أول هذه الحقوق للزوجة معاشرتها بالمعروف امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

كيف تكون الراحة والطمأنينة في البيت إذا كان ربُّ البيت ثقيل الطبع سيء العشرة بطيءٌ في الرضا سريعٌ في الغضب، فلو تأخر عنه ما يريد دقائق ملأ أجواء البيت سباً وشتماً، إذا دخل البيت فكثير المنّ وإذا خرج فمسيء الظن.

يُطالبها بالتجمل والتزين له ويأتي إليها بثياب بالية ورائحته نتنة، يرى أن مساعدتها في البيت عمل مشيناً مع أن خير الخلق الرسول -ﷺ- قد فعل ذلك وقال -ﷺ-: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خيارهم لنسائهم**» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

أيها الزوج:

أنت مسؤول عن زوجتك وستُسأل عنها يوم القيامة، فهي أمانة في عنقك، يقول الرسول -ﷺ-: «**فاتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم**» أي أسيرات عندكم، مسكينة زوجتك أيها الرجل، سلّمها لك أبوها لتكون في حمايتك ورعايتك وإكرامك، ولا يدري أبوها ماذا تصنع بها؟ ولا تدري أمها ماذا تصنع بها؟ ولا يدري أخوها ولا أقاربها، تعذبها في البيت فلا تخبر أهلها حتى تعيش معك وحتى لا يضيع الأولاد، لكن الله يعلم ويرى ويطلع على حالك وحالها.

وكان يقول-ﷺ-: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» [صحيح، أخرجه الترمذي: كتاب النكاح - باب حسن المعاشرة «١٩٧٧»]

أفضلكم عند الله منزلة من كان أفضلكم وأحسنكم عند أهله، فأهله يحبونه ويحترمونه لمعاملته الحسنة والله يحبه من أجل ذلك، إن الذي ليس فيه خير لأهله

ليس فيه خير لنفسه أو للناس.

ومن حقوق الزوجة كف الأذى عنها وذلك مراعاة شعورها فلا يمدح امرأة أمامها، ولا يهددها بالطلاق، ولا يهددها بالزواج عليها، ولا يرفع يده عليها خاصة أمام أهله وأهلها.

ومن حقوق الزوجة أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وتبصيرها بأمور دينها وذلك عن طريق الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة النافعة.

اللهم أصلح بيوتنا ونورها بالإيمان والتقوى يا رب العالمين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين

الظلم والظالمين

الحمد لله مُدبر الأحوال ومُنشئ السحاب الثقال، أحمده سبحانه وأشكره مُسبغ النعم والإفضال، له الحمد في الأولى والآخرة وإليه المآل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، المتفردُ بالعظمة والجلال،

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليَل
ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخ من تلك العظام النُحَّل
ويرى خرير الدم في أوداجها ... متنقلاً من مفصلٍ في مفصل
ويرى مكان الوطء من أقدامها ... في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها ... في قاع بحرٍ مظلم متهول
أُمنن علي بتوبةٍ تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الأول

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ربّى الصفوة من الرجال، الذين أزالوا معالم الكفر والضلال، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

وبعد عباد الله:

قال رسول الله -ﷺ- فيما رواه البخاري ومسلم وأحمد: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، ذلك لأن محكمة الحقوق في الآخرة يُقام فيها العدل على أكمل وجه، فيُقتص للمظلومين جناً وإنساً وعجماوات من ظالميهم سادة كانوا أو عامّة.

وإذا كان عدوان الشاة على الشاة يستدعي القصاص يومئذٍ كما قال المصطفى -ﷺ-: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**» [مسلم وأحمد والترمذي]

ومنع امرأة هرتها الماء والطعام يدخلها النار، يقول -ﷺ-: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**» [البخاري ومسلم]، وقطع شجرة نافعة لغير مصلحة يستوجب تصويب رأس القاطع في النار يقول -ﷺ-: «**قَاطِعُ السِّدْرِ يُصَوِّبُ اللهُ رَأْسَهُ في النار**» [رواه البيهقي في الكبرى وحسنه الألباني]

عبد الله:

فما بالك بمن يظلم أخاه الإنسان، مؤمناً كان أو غير مؤمن، من أي ملة أو دين أو مذهب؟ بل ما بالك بمن يظلم أولياء الله تعالى من الدعاة والصالحين والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر؟

إن ميزان الآخرة منضبط على معيار واحد يُميّز العدل من الظلم، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[غافر: ١٧]، عدلٌ يُنجي وظلم يركس في الجحيم. لذلك ورد الأمر بالعدل والتحذير من الظلم قُرآنا وسنة في سياقات كثيرة، وبأشد الصيَغ دقةً ووضوحا، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال تعالى ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات ٢٢، ٢٣].

ويقول فيما يرويه عنه نبيه -ﷺ-: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**» [رواه مسلم وأحمد والترمذي].

إن التحريم الصارم للظلم مبعثه العدل الإلهي المطلق والرحمة الربانية الشاملة، لأن الظلم مصدر كل رذيلة ومنبع كل شر، وما الفساد إلا بعض نتائجه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة ٢٠٥].

وقد استُعمل لفظ «**الظلم**» في الشريعة لثلاثة أصناف تدور كلها بين الكفر والكبائر هي:

أولاً: ظلم بين المرء وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

ثانياً: ظلم بين المرء وبين الناس قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ [الشورى: ٤٢].

ثالثاً: ظلم بين المرء وبين نفسه قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

والأصل في هذه الأصناف كلها ظلم النفس، إذ كل ظالم في حقيقة الأمر ظالم لنفسه وكل محسن محسن إلى نفسه قال تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾ [النحل: ١١٨].

أيها المسلمون: إن عاقبة الظلم الخسران وعدم الفلاح في الدنيا والآخرة والله

يعاقب على الظلم بأنواع العقوبات، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٢١] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى: ٤٠] وقد أهلك الله أقواماً وقروناً من الناس قبلنا وما زال يُهلك الأمم لوجود الظلم في الأرض فصار هذا الأمر سنة كونية، كلما كثر الظلم والفساد في الأرض نزل العقاب الأليم، اسمعوا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[الإسراء: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾[الأنبياء: ١١]، والله تعالى لم يظلم هذه القرى وهذه الأمم ولكن كانت هي الظالمة ظلمت نفسها وظلمت غيرها فحق عليها عقاب ربها قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾[النحل: ١١٨].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.**

ولهذا قيل: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

عباد الله:

متى يظلم الإنسان؟

إنه يظلم **أولاً**: عندما يشعر بالنقص أو الضعف فيدفعه ذلك للتعالي والتجبر والعدوان والظلم.

ثانياً: حب الشهوات والغرائز المخزية يصرفه عن الحق ويميل به عن الرفق والعدل.

ثالثاً: حُب الرئاسة وصولاً إليها أو تمسكاً بها يورطه في الجرأة على الدماء والأموال والأعراض.

عباد الله: إن تحمُّل الظلم والرضوخ له يُعد حالة أخرى تجعل المظلوم في وضع الظالم بتنازله عن كل ما يراه ضارّاً به من أمر عقيدته وعبادته، فيزداد الظالمون بهذا الخنوع استكبارا في الأرض واستعبادا للخلق وإفسادا للدين. وتكثيرا للأتباع والأعوان، وتنشأ بذلك طبقة مستغلة فاسدة ظالمة، مما يؤدي إلى التقاتل والتصارع والفتنة.

لذلك كان لمتحملي الظلم نصيبٌ من المسؤولية ومحاسبةٌ بين يدي الله تعالى، ولن ينجيهم جوابهم بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض إلا أن تشملهم من الله رحمة: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[النساء: ٩٧].

عباد الله:

إنَّ المؤمن ينبغي أن تتوفر فيه قوة الانتصار للحق غير ذليل ولا مهين ولا عاجز قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الشورى: ٣٩]،

إن الظلم سلوك خاطئ منحرف، ومرآة تكشف عمق الفساد في نفسية صاحبه وسوء مخبره، لذلك اشتد غضب الله تعالى عليه وتوعده بالعقاب الأليم فقال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[الكهف: ٢٩].

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الزمر: ٢٤].

ولعل معترضاً يقول: هذا عقاب الظالم فما بال الجندي وهو مأمور والساكت المستضعف وهو مغمور؟ والجواب أن ميزان العدل لا يفرق بين السيد والمسود

والتابع والمتبوع والفاعل والمعين على الفعل، فكلهم شركاء يجمعهم المصير الواحد ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨]. لأن الظالم لابد له من قوة تعينه على الظلم وجند يحمونه عند ممارسته، وهتافين يشجعونه عليه، وراضين رغَبا ورهَبا أو استحذاءً واستضعافاً.

إن دولة الظلم لابد لها من أركان، وأركانها الظالم وحاشيته وأعوانه والراضون بحكمه والمسبحون بحمده؛ فإن فقدت هذه الأركان لم تقم للظلم دولة ولا للظالمين صولة.

إن أكبر دوائر الظلم هي الشرك بالله قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان: ١٣]؛ لأنه كذب شنيع وافتراء عظيم على الله ﷻ، إلا أن هناك ظلما أقل درجة من الشرك؛ لكن التوبة منه معلقة برد المظالم لأهلها، مما يجعل أمر التحلل منه أشد عسرا، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**» [البخاري].

قال -ﷺ-: «**أتدرون من المفلس؟ ، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة ونسك ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وضرب هذا وسفك دم هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئات المظلومين فطرحت عليه ثم طرح في النار**» [رواه مسلم].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا وأستغفر الله أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو

الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلاماً على عبادِه الذين اصطفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له العليّ الأعلى، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله، صاحب النّهج السوي والخلق الأسنى، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد. . عباد الله:

إنَّ الظلم يتمثل في صور شتى و في أصناف من الناس كثيرة، منهم من أخذهم الله بعذاب الدنيا والآخرة ممن ذكرهم الوحي قرآنا وسنة، ومنهم من يعاصرنا ومنهم من يأتي بعدنا:

- منهم الحكام المتألهون، والأغنياء المستكبرون، والتجار المطففون، والفساق السابقون والمعاصرون من قوم عاد ولوط وصالح.

- ومنهم ظالمٌ لأبويه بإهمالهم أو الإساءة إليهم، وظالمٌ أرحامه بالتقصير في حقوقهم أو التخلي عنهم أو الإضرار بهم.

- ومنهم ظالمٌ لزوجته في عرضها بالنظر إلى غيرها بما لا يجوز، وظالمة زوجها في عرضه بالنظر إلى غيره بما لا يحل.

- ومنهم الظالم لقومه أو قبيلته أو عرقه بالتعصب لهم وإعانتهم علي الباطل كما قال الرسول -ﷺ- إذ سُئل ما العصبية؟ : «**أن تعين قومك على الظلم**» [رواه

الطبراني في المعجم الكبير].

- ومنهم من يظلم المسلمين عامة بعدم النصح لهم، أو عدم نصرتهم أو بخيانتهم والتنكر لهم.

- ومنهم الدول المسلمة الظالمة التي لا تقيم العدل فيسلط الله تعالى عليها عدوها ولو كان مشركاً، كما هو حال أمة موسى عليه السلام التي سلط عليها بختنصر الوثني، والمسيحيين إذ ظلموا فسلط عليهم جبابرة عبَدة أصنام أذلوهم وغيَّروا دينهم

قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١].

عباد الله:

إن الرسول الله -ﷺ- كان يحذر المؤمنين من الظلم ويحضهم على اتقائه، ويقول: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**» [رواه البخاري]، وقال -ﷺ-، «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» [رواه الترمذي]. وقال -ﷺ- «**دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**» [رواه أحمد].

وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله من دعوة المظلوم جهراً أمام المسلمين تعليماً لهم بقوله عند الخروج للسفر والعودة منه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ**

وَالْمَالِ» [رواه النسائي].

كما أنه -ﷺ- أعطى من نفسه القدوة، فأبرأ ذمته من حقوق الخلق، في مرض موته فيما رواه البخاري، إذ خرج متكئا على الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم حتى جلس على المنبر، وكان مما خطب: «**أما بعد: أيها الناس، إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم، ولن تروني في هذا المقام فيكم ... فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخش الشحناء من قبلي، فإنها ليست من شأني. . .** ».

عباد الله:

إذا عرفنا أن الظلم حرام وأنه لا يفلح الظالمون فلابد من إزالة الظلم والتقليل منه فما هي طرق إزالة الظلم؟

١- من أعظم وسائل إزالة الظلم هي **الدعوة إلى العدل بالحكمة والموعظة الحسنة** واللين في القول والفعل قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال -ﷺ-: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**» [متفق عليه].

وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون أقوامهم إلى العدل وهو التوحيد بالحكمة والرفق، مهما ظلم وعتا أقوامهم.

٢- من الوسائل **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرط الاستطاعة** لقوله-

ﷺ-: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» وإنما التغيير باليد يكون خاص بالدرجة الأولى للحاكم ويجوز لغيره إذا كان لا يؤدي إلى ضرر أكبر، ولهذا قرر أهل العلم أن الأمر بالمعروف لا يكون إلا بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يكون بالمنكر، وقالوا كذلك: من نهى عن منكر فعلم أنه سيؤدي إلى منكر أكبر منه فلا يجوز له النهي عن المنكر، وهذا يرجع إلى قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد.

٣- من الوسائل **عدم الركون إلى الظالم** لأنه سبب في انتشار الظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]، ولأن الركون إلى الظالم سكوت عن ظلمه.

٤- **هجر الظالم وعدم إعانته على ظلمه** قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام: ٦٨].

٥- **الدعاء على الظالم والظلم بالزوال** قال-ﷺ-: «**ليس بين الله ودعوة المظلوم حجاب**» وكان الأنبياء إذا يئسوا من هداية الظالمين دعوا الله، قال تعالى على لسان نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨]، وهذا موسى يدعو على آل فرعون قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨] وكان النبي-ﷺ- يدعو على المشركين من قومه كما في غزوة بدر الكبرى: «**اللهم عليك بقريش ثلاثاً**. . ».

وختاماً فلابد لكل إنسان من التوبة من الظلم كل الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه، **فقال** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب: ٥٦]

إلى كل مسلم بعد الحج

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين نحمده - تعالى - ونشكره ونثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

عباد الله: إن كل مشكلة وكل معضلة وكل ضيق وكرب علاجه بالإيمان والتقوى قال جل وعلا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾[الطلاق: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[الطلاق: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[الطلاق: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦].

هذا وعدُ الله، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا.

أيها المسلمون: عاد الحجاج بعد المناسك المباركة.

عاد ضيوف الرحمن بعد أن طافوا بالبيت العتيق ووقفوا بعرفات، ورموا

الجمرات وأتموا مناسكهم ولسان حال كل حاج منهم. .

عندما اكتحلت عيناي برؤية البيت الحرام. . . . لا أدري أظهر مني الفرح أو البكاء.

خلف المقام صليت، وفي الحِجْر سجدت، وفي أرضه مرّغت أنفي. .

بيدي لمست حجراً من أحجار الجنة، بعيني رأيت ياقوتة من ياقوت الجنة. . .

شفتاي قبلتا الحجر الأسود وصدري ألصقته بالملتزم. .

من أطيب ماء في الدنيا شربت حتى ارتويت، وعلى جبل الصفا وقفت. .

من أسعد مني في الدنيا؟

لعلي وضعت جبهتي حيث وضع النبي الكريم قدماه الشريفتان.

أو مرّغت وجهي حيث سقطت دمعته وهو ساجد عند الكعبة. .

إنها مشاهد لا أنساها ما بقيت على قيد الحياة. .

فهنيئًا للحُجاج حجُّهُم وعبادتهم واجتِهَادهم، هنيئًا لهم وقوفهم بتلكَ المشاهِدِ والمشاعرِ، وَتنقلهم بين تلك الساحات والعرصات، وهنيئًا لهم قول الرَّسُولِ -ﷺ-: «**مَن حَجَّ فَلم يَرفُثْ ولم يَفسقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَومَ وَلَدَتهُ أُمُّهُ**» [رواه البخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة - صحيح الجامع «٥/ ٢٨١» رقم ٦٠٧٣].

وقوله -ﷺ-«**والحَجُّ المبرُورُ ليس لَهُ جزاءٌ إلاَّ الجَنَّةُ**». [صحيح البخاري «١٧٧٣»، صحيح مسلم «١٣٤٩»].

سبحان الله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد: ٢١].

الحجاج دعوا ربا عظيماً كريماً، وسألوا إلهاً براً رحيما، ولاذوا برؤوفٍ ودود، لا

يتعاظمه أن يغفر ذنباً وإن كبر، ولا أن يعطي فضلاً وإن كثر، فأحسنوا ظنكم بربكم، فإنه سبحانه عند ظن عبده به، يقول تعالى في الحديث القدسي كما في الصحيحين: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أتاني يمشي، أتيته هرولة**».

وَإِنِّي لأَدعُو اللهَ أَسأَلُ عَفوَهُ وَأَعلَمُ أَنَّ اللهَ يَعفُو وَيَغفِرُ
لَئِن أَعظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِن عَظُمَت في رَحمَةِ اللهِ تَصغُرُ

لكن عباد الله: ماذا بعد الحج هل ستنتهي طاعة الله بانتهاء الحج؟

هل سينتهي ذكر الله بانتهاء مناسك الحج؟ لا بل الحج مدرسة لغرس حُب الله في القلوب.

وإن من الخطأ - عباد الله: - أن يظن الإنسان أنّ مواسم الطاعات فرصة للتخفيف من الذنوب، ثم إذا ذهبت هذه المواسم وقع في غيرها من المخالفات، وتنتهي فترة إقباله على الله تعالى بانتهاء هذه المواسم. يجب أن يعلم المسلم أن مواسم الخير هي تحوّل كامل لواقع المسلم، من حياة الغفلة والإعراض عن الله إلى حياة الاستقامة والإقبال على الله. وإن من إضلال الشيطان وخداع النفوس الأمّارة بالسوء أن ينتكس كثير من الناس على عقبيه، ويعود إلى معاصيه.

فَيَا مَنِ امتنعتم في الحج عَن محظُورَاتِ الإِحرَامِ، اعلموا أن هُنَاكَ محظُورَاتٍ وَممنُوعَاتٍ على الدوام، وَحُدُودًا يجب الوقوف عليها وعدم تجاوزها مدى العُمرِ، فَاحذَرُوا إتيانها أو قُربانها. تِلكَ حدود اللهِ فَلاَ تَعتَدُوهَا: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾**﴾[البقرة: ٢٢٩].

أيها المؤمنون، ها هو ربكم يناديكم بنداء الإيمان أن تستقيموا على شرعه، وتستجيبوا له ولرسوله، وتتقوه حق تقاته، وتعبدوه حق عبادته في حياتكم إلى مماتكم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران: ١٠٢]

مطلوب من كل حاج أن يعود إلى بلده وقد امتلأ قلبه حباً لله ولدين الله ليحيا طيباً ويعيش طيباً ويعمل طيبا. «**إن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيبا**».

ويأكل طيبا: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾[البقرة: ١٦٨]

ويموت طيبا: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾[النحل: ٣٢].

ويدخل دار الطيبين: قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[الزمر: ٧٣].

عباد الله: إن الهدف من العبادات ليس العبادة فقط؛ ولكن ما بعدها، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعدا.

والصيام ما شُرِع إلا لحكمة وهي غرس تقوى الله في القلوب، قال جل وشأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ **[البقرة: ١٨٣]**.

والزكاة والصدقة تُطهر المؤمن من البخل والشح وتُطفئ غضب الرب جل وعلا،

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[التوبة: ١٠٣]

والحج كذلك، فعلامة قبول العبادة ما بعدها، وعلامة قبول الحسنة الحسنة بعدها، اللهم تقبل منا ولا تردنا خائبين برحمتك يارب العالمين.

عباد الله: بعد انتهاء المناسك ما المطلوب منا. . . . هل سينتهي ذكر الله بهذه المناسك،

اسمعوا ماذا يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾[البقرة: ٢٠٠- ٢٠٢].

وانقسم الناس بعد ذلك إلى قسمين قسمٌ همُّه الدنيا يعيش لها، حريص عليها، مشغول بها، حتى دعاءه للدنيا. . هؤلاء يعطيهم الله نصيبهم في الدنيا إذا قُدر لهم ولا نصيب لهم في الآخرة.

وفريقاً آخر أفسح أُفقاً وأكبرُ نفساً لأنه موصول بالله يريد الحسنة في الدنيا ولا ينسى نصيبه في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[الشورى: ٢٠]

ويأتي تقسيم أخر للناس بعد آيات الحج يُقسم الناس إلى صنفين الأول صنف

يتناقض ظاهره مع باطنه، يدّعي الإصلاح للأرض وهو يُفسدها ومع ذلك يحلف ويُشهد الله على ما في قلبه.

قبل أن يتولى يقول سأفعل سأبني، سأُصلح الأرض ولكن ما إن يتولى حتى يكثر في الأرض الفساد والدمار، وإن قيل له اتق الله تكبّر وأخذته العزة بالإثم فهذا مصيره في الآخرة جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾[البقرة: ٢٠٦].

والصنف الثاني: صنفٌ باع نفسه ابتغاء مرضات الله وسلّمها كلها لله لا يبغي من ذلك شي مؤمن خالص لا مداهنه ولا رياء.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾[البقرة: ٢٠٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ولي الصالحين وملاذ الخائفين، قابِل دعوة من كانوا بين يديه أذلاّء منكسرين، المتجاوز عن ذنوب التائبين، أحمده سبحانه وأشكره أن جعل الجنة دار المتقين، وجعل النيران مثوى الكافرين ومآل الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

عباد الله:

إنّ من حكِم الحج العظيمة غرس عظمة الله في القلوب والاطمئنان بذكره في كل حين فذكر الله بعد الحج، قال تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]

ذكر الله بعد صلاة الجمعة وغيرها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]

ذكر الله في ساعة تسقط فيها الجماجم وتسيل فيها الدماء، في ساعة الجهاد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥]

ذكر الله ليس تحريك الشفتان بالتسبيح والتحميد والتهليل فقط لا بل مطلوب أن تذكر الله يا عبد الله في كل حين.

تذْكر الله حال النعمة أي نعمة فتشكره عليها.

تذكره حال المصيبة أي مصيبة فتحمد الله عليها وتعلم انه هو الذي قدّرها وتقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

تذكر الله أمام الحرام فتقول: معاذ الله خالقي ورازقي أن أتعدّ حدود الله.

تذكره عند أوامره فتقول سمعنا واطعنا، وعند النواهي فتقول سمعنا وانتهينا.

عباد الله: أذكروا الله ذكراً كثيراً ولا تذكروه قليلا، فالمنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، والمؤمنين يذكرون الله كثيراً.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام وهو يطالب بأخيه هارون: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[طه: ٣٤]

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[الشعراء: ٢٢٧]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب: ٢١]

وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب: ٣٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[الأحزاب: ٤١].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[الجمعة: ١٠].

وهكذا يا عبد الله:

اذكر الله في كل ساعة وفي كل حين ليثبتك عند الموت بلا اله إلا الله.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم: ٢٧]

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة يارب العالمين.

عباد الله:

يُستحب الإكثار من التكبير في موسم الحج من فجر عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق لكن هل يكفي ذلك؟ لا بل أوصانا النبي -ﷺ- أن نُكبر الله بعد الصلوات ثلاثاً وثلاثين، وعند النوم أربعا وثلاثين، وعند القيام من النوم عشراً، وعند الصعود في مرتفع علمنا أيضاً نبينا المصطفى أن نكثر من التكبير، وهكذا في حياتنا كلها نملأها بتعظيم وتكبير الله جل وعلا حتى يعظم في قلوبنا.

ومما ينبغي للمؤمن أن يُكثر الفكْر فيه هو قبول العمل، وهذه القضية في الحج أو غيره من الأعمال الصالحات، فكم من الناس يؤدي العمل ولا يلتفت إلى قضية القبول، وكأن عنده ضمانا من الله بالقبول، بينما يصف ربنا تبارك وتعالى حال العباد الصالحين إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون: ٦١].

أخرج الإمام أحمد أن أم المؤمنين عائشة ﵂ سألت النبي -ﷺ- عن المذكورين في الآية: أهم الزناة والسراق وشربة الخمر، يفعلون ذلك وهم يخافون الله؟ ! فأجابها المصطفى -ﷺ- بقوله: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله** ﷻ».

وقد كان هذا دأب سلفنا الصالح، فهذا محمد بن واسع يقوم ليله يبكي حتى إن جيرانه لم يناموا من بكائه، فلما كانت صلاة الفجر كلّمه جاره فقال له: ارفق بنفسك وبنا، فو الله ما نمنا البارحة من بكائك، قال: «**والله، إني عندما صففت قدميّ بين يدي الله البارحة تصورت أن الجبار** (ﷻ) **يناديني فيقول: يا محمد، اعمل ما شئت،**

فلن أتقبل منك». فاحرصوا - رحمني الله وإياكم - على القبول من ربكم في كل عمل تعملونه صغيرًا كان أم كبيرًا.

مهما حرص الإنسان على تكميل عمله وتجويده فإنه لا بد من النقص والتقصير ولذلك أمرنا الله بالاستغفار بعد العبادات فقال بعد أن ذكر مناسك الحج:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾[البقرة: ١٩٩].

وأمر نبيه -ﷺ- أن يختم حياته العامرة بعبادة الله والجهاد في سبيله بالاستغفار فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر: ٣]، فكان بعد ذلك يقول في ركوعه وَسُجُودِهِ: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي**»، وكان يقول بعد كل صلاة: «**أَستَغفِرُ اللهَ**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

اللهم تب علينا توبة صادقة نصوحاً. اللهم اغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الأمانة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وهو المحمود على كل ما قدَّره وقضاه، وأستعينه استعانة من يعلم أنه لا رب له غيره ولا إله له سواه.

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً اشهد بها مع الشاهدين، وأدخرها عند الله عُدةً ليوم الدين، واشهد أن الحلال ما أحلّه والحرام ما حرّمه والدين ما شرعه وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ونبيه المرتضى ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى أرسله رحمة للعالمين ومحجّة للسالكين وحُجةً على العباد أجمعين، فشرح له صدره ورفع له ذكره وعلَّم به من الجهالة وبصَّر به من العمى وارشد به من الغي وفتح به أعيناً عمياً وآذانا صماً وقلوباً غلفا تركنا على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بدوام السموات والأرضين.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

أيها المسلمون: المتأمل في كتاب الله، تمر عليه آياتٍ مباركة، وجب عليه أن يقف معها ويتأمل في معانيها.

يقول الله (جل جلاله) في صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٣٢﴾ [المؤمنون: ٨].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

نعم عباد الله، إنها آيات تتكلم عن خُلُق الأمانة.

الأمانة التي عرضها الله على السموات السَّبع والأرضين السّبع والجبال، عرضها عليهم لا عرضَ إلزام، فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا، لا عصيانًا لله، ولكن إشفاقًا من حملها، إلا أنَّ الإنسان حَملها لظلمِه وجهله، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أيّها المسلم: الأمانةُ التي كُلِّفتَ بها والتي طُولبَ منك رعايتُها أمانةٌ عامّة فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين نفسك، وفيما بينك وبين عباد الله، أمانةٌ شاملةٌ لخيرَي الدنيا والآخرة، شاملة لمصالح الدين والدنيا معًا.

أيّها المسلم: العباداتُ الشرعيّة أمانةٌ عندك بأن تؤدِّيها إخلاصًا لله، وموافقةً لشرع الله، لا تبتدِعُ فيها، لا تزيدُ فيها، ولا تنقصُ منها، وإنما تؤدّيها على وفقِ ما شرع الله ورسوله، فإنّ الله لا يقبَل العملَ إلا إذا كان خالصًا له وكان على وفق ما شرع الله، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

عبد الله الوضوء الذي هو شرطٌ لصحّة الصلاة أنتَ مؤتمنٌ عليه في إسباغه وإتمامِه وعدمِ الإخلال بشيء منه، رأى النبيّ -ﷺ- بعضَ أصحابه وقد تركُوا غسلَ بعض القدم، فنادى فيهم: «**ويلٌ للأعقاب من النار**» [أخرجه البخاري في العلم «٦٠، ٩٦»، ومسلم]، وقال-ﷺ-: «**أسبغ الوضوءَ، وخلِّل بين الأصابع، وبالِغ في الاستنشاق إلا أن تكونَ صائمًا**». [أخرجه أحمد «٤/ ٣٣»، وأبو داود في الطهارة].

فالوضوء أمانةٌ تؤدِّيه كما أمرَ الله صادقًا مُخلصًا.

والغُسل من الجنابة أمانة، وما ائتمَن الله عبدًا على شيء ما ائتمنَه على غُسل الجنابة.

و الصلواتِ الخمس أمانة، عليك أن تؤديها في الوقت الذي عيَّنه الله لأدائها، فأنت مؤتمنٌ على وقتِها، فلا تؤخِّرها عن وقتها بلا عذر شرعيّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]. تؤدّيها بأمانة، فلا تخِلُّ بأركانها ولا بواجباتها ولا بشيء مطلوبٍ فيها، ولذا لمّا رأى النبيّ -ﷺ- رجلاً يصلي و لا يُتمّ الركوعَ والسجود قال له -ﷺ-: « **ارجع فصلِّ فإنّك لم تصلِّ**»، فصلى عدة مرات وكل مرة يقول له النبي-ﷺ- « **ارجع فصلِّ فإنّك لم تصلِّ**» ثم قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ نبيًّا ما أُحسنُ غيرَ هذا فعلِّمني، فقال له النبي -ﷺ-: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**» [متفق عليه].

أيّها المسلم: الزكاة أمانة، فالله سيحاسبك على ذلك، فاتّق الله في أدائها وإخراجها على وفق ما شرع الله، على وفق ما أمرك الله به، وأحصِها وأخرِج زكاتها

طيِّبةً بذلك نفسُك، فإنّك أمين، والله يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك: ١٤].

أيّها المسلم: والصومُ أمانةٌ فلا يعلم أحداً أنك صائم إلا الملك جل وعلا، فصيامك أمانة.

والحجّ أمانة، إذا ملكت الزاد والراحلة والمال لك ولأهلك فاتق الله وانطلق للحج قبل أن لا تستطيع، كلّ هذه الأركان الإسلاميّة أمانةٌ عند المسلم، يؤدّيها كما شرع الله.

ومن معاني الأمانة أن يوضع كل شيء في مكانه اللائق به والمناسب له، فلا يُعطى منصب إلا لمن هو أهل وكفؤٌ له، أمّا من يعجز عن القيام به قليل العلم وقليل الخبرة عديم الأمانة فلا يجوز إسناد أي منصبٍ إليه فعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني -أي ألا تعطيني ولاية أو إمارة- قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه**» [رواه مسلم]. ، فأين نحن من أبي ذر وأولئك الرجال الذين شهد لهم رسول الله بالخير؟ .

إن الولاية أو المنصب أو الحكم شرطها: العلم والقوة وحفظ الأمانة، ولقد أتاكم خبر نبي الله موسى يوم سقى لبنتي الرجل الصالح واحترم أُنوثتهما، وكان عفيفاً طيباً قوياً ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾ [القصص: ٢٦].

فالواجب أن يُختار لأي ولاية أو منصب القوي الأمين، وأما من يختار شخصاً لهوى أو رشوة أو قرابة فهذه خيانة لله وللرسول وللمؤمنين، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**من أستعمل رجلاً على عصابة -جماعة- وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله**

ورسوله والمؤمنين». [رواه الحاكم «٤/ ٩٢-٩٣» وصححه] وعن معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» [أخرجه البخاري في الأحكام «٧١٥٠»] وفي رواية لمسلم: «**ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم أو ينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة**».

أين ولاة أمر المسلمين ليسمعوا هذه الأحاديث المباركة؟

أين من يتسابقون على المناصب؟

أيها الناس: إن الأمة التي لا أمانة فيها هي التي تنتشر فيها الرشوة وتهمل الأكفْاء وتُبعدهم وتقدم الذين ليسوا أهلاً للمناصب، وهذه من علامات الساعة التي قد وقعت، يقول -ﷺ- «**إنَّ الله يبغِض الفحشَ والتفحُّش. والذي نفسُ محمّد بيدِه، لا تقوم الساعة حتى يُخوَّنَ الأمين ويؤتَمَن الخائن، حتى يظهَر الفُحش والتفحُّش وقطيعةُ الأرحام وسوءُ الجوار**» [رواه أحمد وغيره وإسناده صحيح]، و جاء أيضاً عنه -ﷺ- أن رجلاً سأله عن الساعة فقال -ﷺ-: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال: وكيف أضاعتها؟ قال: إذا وسِّدَ الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**» [أخرجه البخاري].

كيف سيكون حال الأمة إذا تولى أمورها خونة لا يخافون في المؤمنين إلاً ولا ذمة.

ومن الأمانة **عباد الله**: أن لا يستغل الإنسان منصبه الذي عُيّن فيه من أجل منفعة له أو لأقربائه، كأن يأخذ زيادة على مرتبه بطرق ملتوية، إما بتناول رشوة أو غيرها من الوسائل المحرمة.

ألا فليعلم أمثال هؤلاء أن كل ذلك غش وخيانة وتلاعب بالدنيا، وما أخذ فهو سُحت وأكل أموال الناس بالباطل لأنه ثمرة خيانة وغدر واستغلال للمنصب، فاسمع

يرحمك الله ما قاله نبينا محمد -ﷺ- فيما رواه مسلم: «**من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً – أي سرقة على وجه الخيانة – يأتي به يوم القيامة** »فقام إليه رجل من الأنصار كأني أنظر إليه. فقال: يا رسول الله: اقبل عني عمل. قال: **ومالك؟** قال: سمعت تقول كذا وكذا، قال-ﷺ-: «**وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم في عمل فليجأ بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ، وما نُهي عنه انتهى**»، وقد استعمل النبي -ﷺ- رجلاً على جمع الصدقة فلما رجع هذا الرجل قال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي. فخطب النبي -ﷺ- فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد: فإني أستعمل رجالاً منكم على أمور ولاني الله، فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء أو بقر له خوار أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه يقول: «**اللهم هل بلغت**» [صحيح البخاري «٢٥٩٧»، وأخرجه أيضًا مسلم «١٨٣٢»].

فاللهم اجعلنا من الأمناء السعداء وجنبنا الخيانة الموجبة للشقاء.

أخي الحبيب، اعلم أنّ الله مطّلع عليك وعالم بسرِّك وعلانيتك، فهو القائل تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزخرف: ٨٠].

أخي الحبيب: عندما تتركُ المحرّمَات طاعةً لله في موضع لا يراك إلا الله، إنّما ذلك خشية من الله القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

وإنَّ أمانتك فيما بينك وبين الخلق تعاملُهم بما تحبّ أن يعاملوكَ به، تعاملهم بالصِّدق والأمانة كما تحبُّ أن يعاملوك به، فلا يؤمِن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما

يحبُّ لنفسه. فلا تكن غاشّاً لهم، ولا خائنًا لهم، ولا ساعيًا في المكائد لهم، وإنما تعاملهم بمثل ما تحبُّ أن يعاملوك به، فتلك الأمانة في التعامل مع العِباد.

أيّها المسلم، إنّك مؤتمنٌ في أحوالك كلِّها، ففي البَيع والشّراء مؤتمنٌ على بيعك، بأن يكون بيعك بيعًا صادقًا، لا غشَّ ولا خيانة، لا تدليسَ ولا خِداع، ولكن بيعُ المؤمن الصادِق، يعرض سلعتَه فلا كذب ولا أيمان فاجِرة يروّج بها سلعتَه، ولكن الصدق والبرّ خلقُ المؤمن.

أنت - أيّها المشتري - أمين أيضًا في إعطاء الناس حقوقَهم وعدم المماطلة وعدم الكذب والغشّ والخداع.

أنت - أيها المستأجِر مؤتَمن على ما استأجرتَه بأن تسلِّم ما استأجرتَه من غير إخلال ولا إلحاق ضرَر بما استلمتَه من ذلك العقار، استأجرتَ مسكناً تسكنه فأدِّ أمانتَه بأن تسلِّمه لمؤجِّره من غير نقصٍ لحِق به، من غير إخلال بذلك.

أيّها المسلم، أنتَ مؤتمنٌ على ما وُكِّل إليك من أعمال، فيا من هو وكيلٌ على أموال الأيتام، اعلم أنَّ الله سائلك عمّا ائتمنك عليه، ويناقشك الحسابَ يوم القيامة، فهو القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[النساء: ١٠].

المسؤول عن قِسمة المواريث مؤتمنٌ في الإحصاء وضبطِ الأمور وإعطاء كلِّ ذي حقّ حقَّه.

المسلم مؤتمنٌ إن كان مسؤولاً عن وصايا وأوقاف أن يتّقي الله فيما اؤتُمن عليه، فلا يخون ولا يكذب ولا يلبِّس، وإنّما يُظهر الصدقَ ويؤدِّي الأمانة فيما اؤتُمن عليه.

أيّها المسلم، أنت مُؤتمنٌ على زوجتِك من حيث النصيحة، من حيث التوجيهُ

والقيام بالواجب وإعطاؤها حقَّها المشروع وعدم الإضرار والمماطلة بذلك، كما أنتَ مؤتمنٌ على أخلاقِها وأعمالِها لأنّك راعٍ والله سائلك عن رعيّتك، كما أنَّ المرأةَ المؤمنةَ مؤتمنةٌ على بيتها ومال زوجها وفراش زوجها، فتؤدِّي أمانتَها على الوجه المرضيّ.

أيّها المسلم، أمانتُك تصحبُك أيضًا في أولادك من بنين وبنات، أنت مؤتمنٌ على الأولاد من بنين وبنات، تربيةً وتعليمًا وتوجيهًا وحملاً على الخير وتحذيرًا من أسبابِ الشّرّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦]، فإنّك مؤتمَن على أولادك، أن تربِّيَهم التربية الإسلامية، أن تكون قدوةً لهم في الخير وأسوةً لهم في الهدى ليقتدوا بك ويتأسَّوا بك في أعمالِك الطيّبة، فما مِن مولود إلا يولَد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما جاء في قول النبي -ﷺ-.

أنت مؤتمنٌ عليهم في تأليف قلوبِهم وإصلاح ذاتِ بينهم، فلا تفضِّل أحدًا على أحد، ولا تجعَل لأحدٍ فضلاً على أحَد، بل اتَّق الله واعدِل في أولادك في العطاء والهبات، حتى يكونوا لك قلبًا واحدًا، واحذَر أن توقِد بينهم نارَ العداوة والبغضاء بأن تفضِّل بعضًا على بعض، تقرِّب ذا وتُقصي ذاك، وتترك النّار تشتعل في نفوسهم، فتكون سببًا للقطيعة بينهم والعياذ بالله.

أنت مؤتمنٌ فيما توصي به من وصايا، فلا تكُن وصيتُك وصية جَور وظلم، بل تكون وصيةً عادلة، متَّقيًا الله فيها، لا تحابِ ولا تظلم ولا تفضِّل أحدًا فإنّ الله مطّلع عليك وعالم بسرّك ونجواك.

أنت مؤتمَن على البنات فتختار لهنّ مَن فيه خيرٌ لهنّ في أمرِ الدين والدنيا، لا تردَّ كُفئًا تقدَّم إليك تعلم خيرَه وصلاحَه، قال -ﷺ-: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته**

فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [أخرجه الترمذي في كتاب النكاح وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة].

وكم سمعنا من آباء يمتنع من تزويج بناته لمصالحَ يريدها منهن، إمّا اكتسابٌ من راتبهنَ أو طمعًا في خدمتهنَ أو نحو ذلك، ويردّ الكفءَ في الصلاح والدين لمصلحة دنيويّة حقيرة، فتلك خيانة للأمانة.

عباد الله:

إنَّ الشهادةَ التي تؤدّيها أنت مؤتمن عليها، فتتَّقي الله، وتصدق في شهادتك، وتؤدِّي الشهادةَ على علم وبصيرة، لا على ظنٍّ ومجاملة، قال الله جلّ وعلا في كتابه العزيز: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف: ٨٦]، وحذَّرنا من كتمان الشهادة فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣]. فلا تشهَد إلا بما تعلم، ولا تشهَد بلا علم ولا لمجاملة، فإنّ الشهادة أمانة عند الشاهد، أن ينطق بالحقّ لا يخاف في الله لومةَ لائم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى اله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

إن الأمانة هي الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها، كما ورد في الدعاء للمسافر: «**استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك**»

[صحيح، أخرجه أحمد]وعن أنس -رضي الله عنه- قال: ما خطبنا رسول الله -ﷺ- إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**». [حديثٌ صحيح رواه أحمد]

بل كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من ضياعها، كما روى أبو داود أنه كان يقول -ﷺ-: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**». [حديثٌ حسن رواه أبو داود]

أيّها المسلم، إنَّ مِن الأمانة إعطاءَ العمّال الضعفاء حقوقَهم، وعدمَ التلاعب والتهاون بذلك، فالعمّال الأجراء عندك هم أمانة تحت يدك، أنت مسؤول عن حقوقهم وواجباتِهم، فإن أخللتَ بشيء أو ماطلت بشيء أو حاولتَ التهرُّب أو النقص أو الإساءة فاعلم أن يد الله فوق يدك، واتق الله، ولا تبخَس الناسَ أشياءهم، وأعطِ الناسَ حقوقَهم، أعطِ العامل أجرَه، أعطه حقوقه وإيّاك والتهاونَ وعدم المبالاة بحجّة ضعفهم وقدرتِك على التهرّب وقدرتك على الروغان، اتّق الله في نفسك، وأعطِ الناس حقوقهم، فتلك أمانة اللهُ سائلك عنها، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

أيّها المسلم، القاضي في محكمته مؤتمنٌ على القضايا، ومؤتمنٌ على ما يسمعه من الخصوم، فإن اتَّقى الله في أمانته وسمع من الجميع وأدَّى الحقَّ الذي أوجب الله عليه كان من الناجين يوم القيامة.

المسئولون عن التّحقيق في كلِّ المجالات، سواء مروريّة أو غيرها، هم مسؤولون أمام الله، إن اتَّقوا الله فيما حقَّقوا وفيما كتبوا كانوا أمناء، وإن خانوا وخدَعوا وجاملوا كانوا من الخائِنين.

السرُّ بينك وبين من ائتمنك على سرِّه أمانةٌ فلا تفشِ ذلك، ما بين الرّجل وبين امرأتِه فيما يجري بينهما أمانة، حرامٌ عليها أن تفضيَ للناس ما بينها وبين زوجها، أو

أن يفضيَ للناسَ ما بينه وبين امرأته.

الأبوان أمانة عند الأولاد لا سيّما في كبر سنِّهما وضعفِهما، فالأبناء مسئولون جميعًا عن آبائهم وأمّهاتهم، بالبرّ والإحسان والقيام بالواجب، فإنّ الأبوين أمانةٌ عند الأبناء.

فليتَّق المسلم ربَّه، وليراقِب اللهَ فيما اؤتُمن عليه، فإنّ المسلمَ إذا أدَّى الأمانةَ كان من المؤمنين حقًا، ولا دينَ لمن لا أمانة له، فالأمانةُ من الإيمان، تكون أمينًا على حقوق الناس برِّهم وفاجرهم، فاتّق الله فيما اؤتمنتَ عليه.

أيّها المسلم: اعلم أنّ الأمة المسلمة اللهُ كلّفها وأوجب عليها حفظَ هذا الدين، والقيام بواجب هذا الدين، دعوة إلى الله ونصيحة للأمة والأخذ على أيدي السفهاء وأطرهم على الحقّ أطرًا، فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمانةٌ في أعناق الأمّة، قال -ﷺ-: «**لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذُنّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه عن الحقّ أطرًا، أو ليوشكنَّ الله أن يضربَ قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنُكم كما لعنهم**» [أخرجه أحمد «١/ ٣٩١»، وأبو داود في الملاحم وضعفه الألباني] وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾[المائدة: ٧٩]. .

ويوم كانت أمتنا من أصدق الشعوب والأمم في حمل هذه الأمانة والوفاء بها كانت أمتنا خير أمة أخرجت للناس.

عن عائشة -رضي الله عنها- : أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَنْ يُكلِّم فيها رسول الله -ﷺ-، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُ رسول الله -ﷺ-؟ فكلم أسامة رسول الله. فقال-ﷺ-: «**تشفع في حد من حدود الله؟** »ثم قام -ﷺ- فخطب فقال: «**يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف**

تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمدٌ يدها» [رواه البخاري]، فهذه هي أمانة الحاكم في تنفيذ القانون على الناس جميعا.

واستدان ابن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين كان والياً على الكوفة أموالا من خزينة الدولة ليتاجر بها على أن يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصة، واتجر ولد عمر فربح، فبلغ ذلك عمر فقال له: إنك حين اشتريت أنقص لك البائعون في الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين، ولما بعت زاد لك المشترون في الثمن لأنك ولد أمير المؤمنين، فلا جرم أن كان للمسلمين نصيب فيما ربحت، فقاسمه نصف الربح، واسترد منه القرض وعنفه على ما فعل، واشتد في العقاب على أبي موسى لأنه أسرف من أموال الدولة ما لا يصح أن يقع مثله.

أيها المسلمون: هذه أمانة الحاكم الذي يسهر على مال الأمة فلا يحابي فيه صديقاً ولا قريبا.

ويذكر التاريخ أن القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي رحمه الله كان من أكثر ملوك عصره توفيقا في الفتوح والنصر وكان نصيبه من الغنائم كبيراً جدا أوقفه كله مدارس ومستشفيات ومساجد مما لا يزال بعض آثاره باقياً حتى اليوم، ولم يترك لنفسه ولأولاده شيئا من ذلك حتى قالوا إنه حين مات، مات وهو من أفقر الناس رحمه الله، وهذه هي أمانة القائد الذي يأبى أن يتاجر بجهاده، ويرضى بالله وجنته وثوابه بديلا.

جعلني الله وإياكم ممّن أدّى الأمانة التي أُمر بأدائها، إنّه على كلّ شيءٍ قدير.

وصلّوا ـ رحمكم الله ـ على عبدِ الله ورسوله محمّد -صلى الله عليه وسلم- كما أمَركم بذلك ربّكم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهـمّ صـلِّ وسـلِّم وبـارك علـى عبـدِك ورسـولِك محمـد، وارضَ اللهـمّ عـن خلفائـه الراشدين. . .

عبد الله بن مسعود

الحمد لله الذي يقبلُ توبة التائبين، ويمحو بفضله وعفوه وحلمه إساءة المذنبين، الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء وهو أرحم الراحمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وعلى جميع من سار على نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وحشرنا وإياكم معهم بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين.

إلهي:

إنـــي دعوتـــك والهمـــوم جيوشـــها نحـــوي تطـــارد
فـــأفرج بحولـــك كربتـــي يـــا مـــن لـــه حُســـن العوائـــد
فخفـــي لطفـــك يُســـتعان بـــه علـــى الـــزمن المعانـــد
أنـــت الميســـر والمســـبب والمســـهل والمســـاعد
يســـر لنـــا فرجًـــا قريبًـــا يـــا إلهـــي لا تباعـــد
ثـــم الصـــلاة علـــى النبـــي وآلـــه الغـــر الأماجـــد
وعلـــى الصـــحابة كلهـــم مـــا خـــر للـــرحمن ســـاجد

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

أما بعد: عباد الله:

اليوم موعدنا مع علم من أعلام الصحابة.

مع فقيه الأمة، سابق الإسلام، الجاهر بالقرآن والعالم به.

العالم الرباني الاواه الاواب الخاشع البكاء خادم رسول الله -ﷺ- . إنه الرجل الذي، وصفه فاروق الأمة عمر -رضي الله عنه- في ثلاث كلمات لا تزيد فقال عنه: «**كنيف مُلئ علما**» اي وعاء مُلئ علما هل عرفتموه ؟ إنه عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وارضاه.

الإمام الحبر أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين شهد بدراً وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين.

أما قصة إسلامه ففي حديث صحح إسناده الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، في ترجمته لـ عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، يقول ابن مسعود: «كنت أرعى الأغنام لـ عقبة بن أبي معيط في شعاب مكة، فمر بي رسول -ﷺ- وأبو بكر -رضي الله عنه- فقال: «**يا غلام هل من لبن؟** قلت : نعم ولكني مؤتمن. الله أكبر انظروا إلى الأمانة في جاهليته فما ظنكم وبأمانته بعد أن شرح الله صدره للإسلام. قال :«**فهل من شاة لم ينز عليها فحل**» ، قال : فأتيته بشاة فمسح النبي -ﷺ- ضرعها، ودعا الله جل وعلا، فدر الضرع باللبن، فجاءه الصديق بإناء مجوف، فملأه النبي -ﷺ- باللبن وشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع:« **اقلص فقلص**». قال عبد الله بن مسعود ثم أتيته بعد هذا فقلت: «ع**لمني من هذا القول**» فمسح رأسي وقال: «**يرحمك الله إنك غليّم معلّم**»، ولفتت هذه المعجزة نظر ابن مسعود فلم يلبث أن انظم إلى قافلة المؤمنين برسول الله -ﷺ- فكان سادس ستة في الإسلام، وبدأ يتلقى القرآن عن رسول الله -ﷺ- .

قال عن نفسه -رضي الله عنه-: «**أخذت من في رسول الله بضعًا وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه**»، فكان من قُرّاء القرآن المجيدين.

ولذلك كان النبي-ﷺ- يقول: «**خذوا القرآن من أربعة: «من ابن أم عبد- عبد الله بن مسعود- وكان يلقب بابي عبد الرحمن. قال: كنّاني الرسول قبل أن يكون لي ولد- ومن معاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى حذيفة**» [رواه أحمد].

اثنان من المهاجرين واثنان من الأنصار.

وها هو رسول الله حبيب الله يمنح ابن مسعود وساما عظيما فيقول بأبي وأمي فيقول: «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد**»، وفي رواية : «**من أحب أن يسمع القرآن غضًا طرياً كما أُنزل فليسمعه من ابن أم عبد**».

الله اكبر يا عباد الله: من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، من أراد الآخرة فعليه بالقرآن ،من أرادهما معاً فعليه بالقرآن .

ووسامٌ آخر يمنحه رسول الله ابن مسعود فيقول له -ﷺ-: «**اقرأ علي القرآن**»، انظروا إلى هذه الكرامة رسول الله ، من نزل عليه القرآن يطلب من ابن مسعود أن يقرأ عليه قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: « **إني أُحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[النساء: ٤١]. قال: «**حسبك الآن**» فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان -ﷺ-. [متفق عليه]. . .

إنها رسالة لك أخي الحبيب أن تسمع القرآن في ساعة خلوة في ساعة صفاء في ساعة العباد فيها غافلون وأنت تناجي ربك بكلامه، فمن سمع آية فله أجرها.

عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أسلم في مكة وتحمل أذى المشركين وصُب عليه من البلاء ما صُب، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا المشهد رواه بطوله ابن هشام في سيرته، ورواه مختصراً الإمام ابن حجر في الإصابة، ورواته ثقات، يقول الزبير بن العوام -رضي الله عنه-: اجتمع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً في مكة، وما زالوا مضطهدين ،وما زالوا مشردين فقالوا: قريش لم تسمع القرآن ، فهل من رجل يسمعهم القرآن؟ أتدرون من الذي أجاب بنعم؟ ! إنه هذا الغلام الفقير، الذي كان بالأمس القريب راعياً لأغنام سيد من سادات مكة، فقال ابن مسعود: أنا، فقال الصحابة: نريد واحداً له عشيرة تمنعه وتحميه إن أراد به أهل مكة شراً، فقال ابن مسعود: دعوني، فإن الله سيمنعني ويحميني، وانطلق ابن مسعود -رضي الله عنه- وأرضاه في اليوم التالي في وقت الضحى، حتى أتى مقام إبراهيم -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ووقف ليقرأ القرآن بصوته الحلو العذب الرقيق، وبدأ بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، رافعاً به صوته، والمشركون يجلسون حول الكعبة، وظل يقرأ سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[الرحمن: ١-٤]فنظر سادة قريش إلى بعضهم البعض وقالوا: ماذا يقول ابن أم عبد؟ ! تباً له إنه يتلو بعض ما جاء به محمد! إلى هذا الحد من الجرأة! يتلو على مسامعنا وبين أيدينا القرآن الذي جاء به محمد ، فقاموا إليه وضربوا وجهه ضرباً شديداً عنيفاً حتى سال الدم على وجهه الأنور، وانطلق بهذه الدماء الطاهرة إلى الصحابة، فقالوا: هذا والله ما خشيناه عليك يا ابن مسعود، أتدرون ماذا قال هذا الغلام الضعيف القوي؟ ! قال: «والله ما كان أعداء الله أهون في عيني من اليوم، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً»، فقالوا: كلا، فلقد أسمعتهم ما يكرهون.

هاجر -رضي الله عنه- الهجرتين وصلى إلى القبلتين، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد مع رسول الله -ﷺ-، وفي غزوة بدر بعد انتصار المسلمين فال النبي -ﷺ-: «**تُرى ماذا صنع أبو جهل؟** فذهب ابن مسعود -رضي الله عنه- فرأى أبا جهل وهو في الرمق الأخير ، فصعد على صدره وقال أبو جهل متعاليا متكبرا وهو في سكرات الموت: لقد ارتقيت مرتقاً صعبا يا رويعي الغنم لمن الدائرة اليوم ؟ فقال لله ولرسوله الله أخزاك الله يا عدو الله؟! فقطع رأسه وجاء، به إلى النبي -ﷺ- فأخبره بمقتل أبي جهل، فقال **آلله الذي لا إله إلا هو؟ ! آلله الذي لا إله إلا هو؟ ! ! ** »أي: **أقتل أبو جهل حقاً؟ !** قالها النبي -ﷺ- مرتين، فخرج مع عبد الله بن مسعود فلما رآه قال النبي -ﷺ-: « **الحمد لله الذي أخزاك الله يا عدو الله! ثم قال** -ﷺ-: **هذا كان فرعون هذه الأمة** » قتله ابن مسعود (رضي الله عنه) وأرضاه.

من كان يصدق أن ابن مسعود الفقير الأجير هو الذي سيقتل أبا جهل؟! هذا هو الإسلام يمنحه مكان فقره غنى، ومكان ضعفه قوة وإرادة تقهر جبابرة قريش، هذا هو الإسلام الذي حوّل هؤلاء من رعاة للغنم إلى سادة وقادة للأمم .

أما عن قُربه -رضي الله عنه- من النبي -ﷺ-، فقد كان صاحب سر رسول الله وسواكه ونعله وطهوره لا يفارقه في سفر ولا حضر ولا سلم ولا حرب، يراه الرائي الذي لا يعرفه فيحسب أنه من آل بيت الرسول، يقول سيدنا أبو موسى الأشعري: «جلست أنا وأخي مدة من الزمن ولا نرى إلا أن ابن مسعود وأمه من آل بيت رسول الله، لكثرة دخولهما عليه وخروجهما منه». .

حتى قال بعض الصحابة :« **حُق له، كان يؤذن له إذا حُجبنا ويشهد إذا غبنا**». فأورثته هذه الملازمة للنبي المصطفى علما فاق به أقرانه من الصحابة

عباد الله:

في ليلةٍ مظلمة يلقى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ركْباً يضم هذا الرجل المبارك، ويخيم الليل بظلامه فيحجب الركب عن عمر -رضي الله عنه-، فيسأل عمر بن الخطاب: من أين القوم؟ فيجيبه هذا الرجل المبارك من وسط هذا الركب الكريم قائلاً: من الفج العميق! فيسأل عمر: إلى أين تريدون؟ فيجيبه ابن مسعود وعمر لا يراه قائلاً: إلى البيت العتيق، فيعي عمر الأمر فيقول: إن في الركب عالماً.

فيسأل عمر: أي القرآن أعظم؟ فيجيب من وسط الركب: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فيسأل عمر: أي القرآن أحكم؟ فيجيب قائلاً: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل: ٩٠].

فيسأل عمر: أي القرآن أجمع؟ فيقول: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾[الزلزلة: ٨].

فيسأل عمر: فأي القرآن أخوف؟ فيقول: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

فيسأل عمر: أي القرآن أرجى؟ فيجيب ابن مسعود: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

فينادي عمر قائلاً: أفيكم عبد الله بن مسعود؟ ! -إنه الغلام المعلم، والفقيه المفهم، والقارئ الملقن- فيجيب الركب قائلاً: اللهم نعم.

وهناك وسام آخر لابن مسعود -رضي الله عنه- جاء الحديث الذي رواه مسلم أن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما نزل قول الله جل وعلا من سورة المائدة: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾[المائدة: ٩٣]. فلما نزلت وقرأها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يا عبد الله! أنت منهم**» يشهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لـ عبد الله بأنه من الذين اتقوا وآمنوا، واتقوا وآمنوا، واتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

أخلاق الحبيب:

لو سألت عن مظهر ابن مسعود وشكله، فإذا نظرت إلى ابن مسعود -رضي الله عنه- وإلى أوصافه وجدت رجلاً شديد الأدمة «السمرة» قصير القامة، لطيف الجسم، قليل اللحم، عديم الشحم، أحمش الساقين حتى انه صعد شجرة مرة فبدت ساقاه فبانتا دقيقتين نحيلتين، فضحك الصحابة، وفي هذه اللحظات يعطيه النبي -صلى الله عليه وسلم- وساماً يفوق كل الأوسمة، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد يوم القيامة**»، والله لو لم يخرج ابن مسعود من هذه الدنيا إلا بها لكفته شرفا وفخرا في الدنيا وعزا ورفعة ومكانة عند الله في الآخرة، فالرجال لا يُقاسون بالطول والعرض، ولا بالوزن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

عباد الله:

و كما كان عالماً كان قائماً خائفا، فقد كان بن مسعود إذا هدأت العيون ونام الناس في فرشهم يقوم من الليل ليتهجد ويقول: «**يا رب تائب مستغفر، خائف مستجير، راغب راهب**»، ويسأل الله ﷻ.

يقول زيد بن وهب: رأيت خطين أسودين في وجه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- من طول البكاء وكثرة الدموع، وكان يقول لأصحابه من طلاب علمه، وقد كثروا حوله يوماً فقال: «**والله لو علمتم ذنوبي ما مشى منكم ورائي رجلان، لو علمتم ذنوبي لحثوتم التراب على رأسي، وإني أتمنى أن يغفر الله لي ذنبا من ذنوبي ولو سُميت عبد الله بن روثة**».

أيها المسلمون :حينما فُتحت الفتوح ومُصِّرت الأمصار وأُنشئت الكوفة أمد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أهل الكوفة، وقال لهم: «**لقد أمددتكم بعمار بن ياسر أميراً وبعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من نجباء أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وإني لآثرتكم بعبد الله على نفسي**».

وذهب ابن مسعود -رضي الله عنه- إلى الكوفة وانشأ فيها مدرسة علمية، كان فيها عمالقة من التابعين، العلماء الفطاحل ، حتى إن الإمام السرخسي رحمه الله قال: «**لقد بلغ عدد من تعلم على يد ابن مسعود وعلى يد أصحابه ما يقرب من أربعة آلاف عالم!** »

كلهم في ميزان حسناته.

عباد الله: نعيش أخيرا وإياكم مع بعض مواعظه -رضي الله عنه-، روي عنه -رضي الله عنه- أنه قال: «**من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً**».

وقال أيضاً: «**ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يفتح له**».

وروي أنه أتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع فقال له عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «**لا تشرك به شيئا وزل مع القرآن حيث زال ومن جاءك بالحق فاقبل منه وان كان بعيدًا بغيضًا ومن جاءك بالباطل فارده عليه وان كان حبيبا قريبا**».

و قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «**والله الذي لا اله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان**».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية أُذن بهلاكها**».

وكان يقول: «**لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة وهو يحب ظالما لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب**».

ومن أقواله -رضي الله عنه- : «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أُذن بهلاكها».

وجاءت اللحظة التي لا بد منها وهي ساعة الموت نسأل الله حُسن الخاتمة، و مرض ابن مسعود -رضي الله عنه- وأتاه عثمان ليعوده، فقال: مم تشتكي، قال أشتكي من ذنوبي، قال وماذا تشتهي؟ قال أشتهي مغفرة ربي، ثم مات -رضي الله عنه- وعمره ثلاث وستون ، في السنة الثانية والثلاثين للهجرة، وصلى عليه الصحابة رضوان الله عليهم، وانتقل إلى جوار الله هذا الصحابي الجليل، الذي أورث الأمة علماً وهدياً،

وأورث الأمة قرآنا تلقّاه من رسول الله -ﷺ- فرضي الله عنه وأرضاه، وتقبله في الصالحين.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

المخلوق العجيب

الحمد لله الذي دل عباده على طاعته للفوز بجنته، وحذّرهم من معصيته للنجاة من ناره، وأقام لهم الحجة وأوضح لهم المحجة بإنزال كتبه وإرسال رسله، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له.

يَـا مَـنْ لَـهُ عَنَـتِ الوُجْـوهُ بِأَسْـرِهَا ... ولَـــهُ جَميْـــعُ الكَائِنَـــاتِ تُوَحِـــدُ
يَـا مُنْتَهَـى سُـؤْلِيْ وغَايَـةُ مَطْلَبِـي ... مَـنْ لِـي إِذَا أَنَـا عـن جَنابِـكَ أُطْـرَدُ
أَنْـتَ المُؤمَّـلُ فِـي الشَّـدائِدِ كُلِّهَـا ... يَـا سَـيِّدِيْ ولَـكَ البَقَـاءُ السَّـرْمَدُ
وَلَـكَ التَّصَـرفُ فِـي الخَلائِـقِ كُلِّهَـا ... فَلِـذَاكَ تَهْـدِي مَـنْ تَشَـاءُ وتُسْـعِدُ
فـامْنُنْ عَلَـيَّ بِتَوْبَـةٍ يَـا مَـنْ لَـهُ ... قَلْـبُ المُحِـبِّ مُقَـدِّسٌ ومُوَحِّـدُ

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي دل أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله: ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى تدرّعوا بها في الشدة والرخاء في السراء والضراء أعمروا بها أوقاتكم صباحاً ومساءً فبها تُدفع المحن والبلايا والفتن والرزايا وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾[الطلاق: ٢]. . ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾[الطلاق: ٤]. . ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[الطلاق: ٥].

أيها المسلمون عباد الله: سنقف اليوم وإياكم مع مخلوقٍ عجيب مخلوقٍ عظيمٌ جليل خلقه الله جل وعلا عبرة لمن يعتبر وعظة لمن يتعظ! ! !

إنهُ البحر بأمواجه العظيمة، البحر بأتساعه الهائل.

البحر آية من آيات الله الدالة على عظمته وجبروته، ففي الجنة رحمته وفي النار سطوته وعذابه وفي البحر عظمته.

إن ماء هذا المخلوق العجيب يملأ ثلاث أرباع سطح الأرض ولولا أن الله جل وعلا يمسك البحر بقدرته ومشيئته لطفح على الأرض فأغرقها ودمرها ويجعل عاليها سافلها.

البحر عباد الله: خلقٌ من خلق الله يعبد الله، يوحد الله، يسبح لله، ومن عجائبه أنهُ يرى ابن ادم يعصي لله تعالى مع حلمه تعالى عليه فيتألم لذلك فلولا أن الله منعهُ إغراقهم لأغرقهم وأخبر النبي -ﷺ- بذلك.

ففي مسند الأمام أحمد فيما يروي عن عمر أن النبي -ﷺ- قال: «**ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن يطفح على العصاة من بني أدم فيكفهُ الله** »[أخرجه أحمد (١/ ٤٣، رقم ٣٠٣) حديث رقم: ٤٩٣٢ في ضعيف الجامع]..

فسبحان الله البحر يغضب عندما تُنتهك محارم الله وكم من بشرٍ لا يُحرِّكون ساكناً والفواحش تنتشر والمنكرات تسري ولا ينكرون منكرا ولا يأمرون معروفاً.

في البحار أمواج عاتية وأعماق مظلمة حالكة الظلام وعلى عمق(٦٠) متراً عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يدهُ لم يكد يراها وصدق الله القائل: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور: ٤٠].

فلا نور إلا نور الإيمان، لا نور إلا نور الأعمال الصالحات.

الله أكبر البحر جندي من جنود الله يُهلك الله به من يشاء من أعدائه ويُنجي به من يشاء من عبادة المؤمنون.

البحر تجدهُ جندياً من جنود الله بارزاً في قصة موسى علية السلام عندما خافت علية أمه من بطش فرعون، فأوحى الله إليها وحي الهام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[القصص: ٧]

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه: ٣٩]

سبحان الله يا أم موسى ارضعيه فإذا خفت عليه وهو في حضنك وهو في رعايتك إذا خفت عليه وفي فمه ثديك وهو تحت عينيك فالقيه في اليم.

الله أكبر طفلاً في الأشهر الأولى من حياته يلقى في اليم في تابوت صغير لا من يحميه لا من يرعاه.

لكن الله بعنايته وحفظة يحرسهُ ويرعاه.

فألزم يديكَ بحبل الله معتصماً فإنهُ الركن إن خانتكَ أركان

ولا تخافي ولا تحزني إنه هنا في اليم، في البحر العظيم بأمواجه في رعاية الله! اليد التي لا خوف معها اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً وتجعل البحر ملجأً وملاذاً.

اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية ولا طغاة الأرض جميعاً أن يدنو من حماها الآمن العزيز.

وإذا العناية لاحظتكَ عيونها نم فالمخاوف كلهّن أمان

إن القدرة التي ترعاه تُدبر أمره وتكيد به لفرعون وآله فتجعلهم يلتقطونه وتجعلهم يحبونه ويبحثون له عن مرضعة ويحرم عليه المراضع حتى تبصره أخته من بعيد فتعرفه فتقول هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ثم يعود

الطفل الغائب إلى أمه الملهوفة معافى في بدنه مرموقاً في مكانته يحميه فرعون وترعاه امرأته وتضطرب المخاوف من حوله وهو آمن بحفظ الله.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[القصص: ١٣].

واستمرت المعركة بين موسى ولي الله وفرعون عدو الله، بين الحق والباطل إلى حين

خروج موسى ومعهُ بني إسرائيل فتبعهُ فرعون وجنوده فإذا البحر من أمام موسى وقومه وفرعون وجنوده من خلفهم.

دلائل الحال كلها أن لا مفر والبحر أمامهم والعدو خلفهم، فإذا بنو إسرائيل يقولون: «**يا موسى إنا لمدركون**» ضعفت ثقتهم بالله ونسوا أن الله هو الحافظ والمعين لكن موسى لا يشك لحظة واحدة وملء قلبه الثقة بربه واليقين بعونه والتأكد من النجاة،

فقال موسى بلسان الواثق بنصر الله: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشعراء: ٦٢].

فجاء الفرج وأُزيل الكرب، هكذا مهما زاد الظلم ومهما بلغ الطغيان.

كلا: لن نكون مدرَكين، كلا: لن نكون ضائعين، كلا :إن معيَ ربي سيهدين.

فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، بعصا يُضرب البحر العظيم، بعصا يضرب المخلوق العجيب نعم بعصا وقعت المعجزة فالعصا سبب والله هو رب الأسباب، فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم. وقعت المعجزة ووقف الماء على جانب الطريق كالطود العظيم ووقف فرعون مع جنوده مشدوها بذلك المشهد الخارق وذلك الحدث العجيب وأطال الوقوف وهو يرى موسى وقومه يعبرون البحر في طريق مكشوف وتم تدبير الله فخرج بنو إسرائيل من الشاطئ الأخر بينما

كان فرعون وجنوده بين فرقي الماء أجمعين وقد قربهم الله لمصيرهم المحتوم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾[الشعراء: ٨] فالبحر المُغرِق أصبح أماناً وسلاماً ويبسا.

فدخل موسى وقومه بأهلهم وعتادهم لا تبتل لهم قدماً بإذن الله تعالى.

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: « صار البحر أثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فاقترب فرعون بجنوده وتمادوا ودخلوا أجمعين ودخل آخر جندي من جنود فرعون وخرج آخر رجل من قوم موسى فأمر الله البحر أن يغرق فرعون وجنوده ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الشعراء: ٦٥].

نعم إنه البحر الذي كان لموسى الطفل الرضيع أماناً ورعاية وحفظا هو الآن يغرق فرعون وقومه بإذن الله تعالى.

عباد الله: هذا المخلوق العجيب نجده مع نبي الله يونس الذي كان هو وقومه في بقعة قريبة من البحر وقد ضاق صدراً بتكذيب قومه فانذرهم بعذابٍ قريب وغادرهم مغضبا آبقا فقاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة وفي وسط الأمواج والرياح وكانت هذه علامة عند القوم بانّ من بين الركاب راكباً مغضوباً عليه لأنه ارتكب خطيئة وانه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق فاقترعوا على من يلقونه من السفينة. فخرج سهم يونس وكان معروفا بصلاحه ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر أو ألقى بنفسه إليه، فأرسل الله له حوتاً فابتلعه وأمره أن لا يكسر له عظما ولا يخدش له لحما وطاف به البحار وغاص به إلى الأعماق وبقي في بطن الحوت أيامًا يسمع الحيتان وتسبيحها، ولولا أنه استغفر الله وسبحه لبقي في بطن الحوت في قعر البحر إلى يوم القيامة، لكن الله تعالى نجاه كما قال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء:

.[٨٨

فسبح الله واستغفره قائلا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء: ٨٧].

فسمع الله دعاءه واستجاب له ونجاه من الغم. فلفظه الحوت وخرج من بطنه سقيما عارياً على الشاطئ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾[الصافات: ١٤٦].

وقبل هؤلاء جميعا قوم نوح، فإن الله تعالى لما أراد إهلاكهم، أمر نبيه نوحا عليه السلام أن يصنع سفينة فصنعها، ولما بدأ الطوفان أمره الله بالركوب فيها مع من آمن معه، وعم الطوفان الدنيا حتى بلغ قمم الجبال العالية، فنجاه الله تعالى ومن معه من المؤمنين، وأغرق من كفر بالله رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٤]. وأخبر تعالى أنهم كانوا ظالمين أيضاً فقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[العنكبوت: ١٤]. وهكذا فإن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا قبل الآخرة.

ما زلنا وإياكم مع هذا الجندي العجيب «البحر»، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[لقمان: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف: ١٠٩].

الله أكبر ما أعظم الله لو أن جميع ما في الأرض من شجر تحوّلت أقلام وجميع ما في الأرض من بحار تحولت إلى مداد وهذا البحر يمده سبعة أبحر وجلس الكتّاب يكتبون ويسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على عظمته على علمه

وقدرته ورحمته الدالة على مشيئته. . . . فماذا؟ لقد نفدت الأقلام ونفد المداد نفدت الأشجار ونفدت البحار الأقلام وانتهت وكلمات الله باقية لا تنفد ولا تأت لها نهاية لان علم الله لا يحد ولان إرادته لا تكف ولان مشيئته سبحانه ماضية ليس لها حدود ولا قيود.

وتتوارى الأشجار والبحار وتنزوي الأحياء والأشياء وتتوارى الأشكال والأحوال ويقف القلب البشري خاشعا أمام جلال الخالق الباقي الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يغيب.

البدر عبادَ الله: يذكرنا بقصة أصحاب القرية من بني اسرائيل التي كانت حاضرة البحر واستمع أخي الحبيب كيف نجى الله المصلحين منهم وأهلك البقية: قال تعالى:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأعراف: ١٦٣]

فتأمل أخي قصة أهل هذه القرية التي كانت حاضرة البحر كيف انقسم أهلها إلى ثلاثة أقسام: عُصاه، وصالحون، ومصلحون، وتأمل الآيات كيف قام المصلحون بالدعوة فأنكر عليهم الصالحون! وقالوا لا فائدة من إنكاركم ولا من إصلاحكم؟ ! فهؤلاء قوم فاسدون لا خير فيهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأعراف: ١٦٤]

فكانت النتيجة أن نجّى الله المصلحين، وأهلك الفاسقين، والساكتين الراضين بالمنكر. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[الأعراف: ١٦٥]

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، صنع الإنكليز باخرة عظيمة كانت - كما يقولون- فخر صناعاتهم، ثم انطلقت في رحلة ترفيهية، على متنها علية القوم ونخبة المجتمع - كما يصفون أنفسهم- وقد بلغ الفخر والاعتزاز ببناة السفينة درجة كبيرة من الكبر والغرور، فسموها [الباخرة التي لا تقهر] المسماة «تايتنك» بل سُمع أحد أفراد طاقمها يتشدق فخراً أمام بعض كبار ركابها بما ترجمته: [حتى الله نفسه لا يستطيع أن يغرق هذا المركب] جل الله وتعالى وتقدس أن يعجزه شيء في السموات أو في الأرض، وفي اليوم الثالث من سيرها في المحيط الأطلسي، وفي خضم كبرياء صناعها وركابها، شاء الله تعالى أن تصطدم بجبل جليدي عائم، فيفتح فيها فجوة بطول [٩٠] مترا، وبعد ساعتين وربع تستقر الباخرة -التي زعموا أنها لا تقهر- تستقر في قعر المحيط، ومعها [١٥٠٤ ركاب] ألف وخمسمائة وأربعة ركاب، وحمولة بلغت [٤٦] ألف طن، فلا إله إلا الله، ما أهون الخلق على الله تعالى إذا عصوه، فالله الله إخواني، إياكم والمعاصي، فإنها تذر الديار خرابًا، والعزيز ذليلا، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

اسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وان يستر عيوبنا أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اكتفى

وبعد، عباد الله:..

هداني الله في بطن البحر.. إنها قصة عجيبة يقول صاحبها:

«أبدأ قصتي.. بالحمد لله (ﷻ) الذي وسعت رحمته كل شيء.. والذي سبق حلمه غضبه.. وأنعم علينا بأبواب رحمته وغفرانه.. الذي يرى ذنوبنا فيسترها.. ويسمع عصياننا فيمهلنا.. وييسر لنا النوائب لتوقظنا من غفلتنا.. لا نحصي ثناء عليه.. بديع السماوات والأرض لا إله إلا هو سبحانه.. أحسن الخالقين...

إخواني وأخواتي في الله.. أنا شاب كان يظن بأن الحياة.. مالآ وفير.. وفراش وثير.. ومركب وطيء.. وغير ذلك كثير.. وها أنا أسرد قصتي لعلها توقظ غافل قبل فوات الأوان...

كان يوم جمعة.. وكالعادة لهو ولعب مع الأصدقاء على الشاطئ.. ولكن من هم الأصدقاء.. هم مجموعة من القلوب الغافلة.. وقلوب فيها من الظلام ما يطفئ نور الشمس.. وسمعت المنادي ينادي.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. وأقسم بالله العظيم أني سمعت الأذان طوال حياتي.. ولكني لم أفقه يومًا معنى كلمة فلاح.. وكأنها كانت تقال بلغة لا أفهمها مع أني عربي ولغتي عربية.. ولكنها الغفلة.. وكنا أثناء الأذان نجهز أنا ورفاقي عدة الغوص وأنابيب الهواء.. استعدادآ لرحلة جميلة تحت الماء.. وأنا أرتب في عقلي برنامج باقي اليوم الذي لا يخلو لحظة من المعاصي والعياذ بالله...

وها نحن في بطن البحر.. سبحان الخلاق فيما خلق وأبدع.. كل شيء على ما يرام.. وبدأت رحلتي الجميلة... ولكن...

حصل ما لم أتوقع.. عندما تمزقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص

بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم ولتمده بالهواء من الأنبوب. . . وتمزقت أثناء دخول الهواء إلى رئتي. . . وفجأة أغلقت قطرات الماء المالح المجرى التنفسي. . . وبدأت أموت. . .

بدأت رئتي تستغيث وتنتفض. . . تريد هواء. . . الهواء الذي طالما دخل جوفي وخرج بدون أن أفهم أنه أحد أجمل نعم الله علي. . . وبدأت أدرك خطورة الموقف الذي لا أحسد عليه. . . بدأت أشهق وأغص بالماء المالح. . . وبدأ شريط حياتي بالمرور أمام عيناي. . .

ومع أول شهقة. . . عرفت كم الإنسان ضعيف. . . وأني عاجز عن مواجهة قطرات مالحة سلطها الله علي ليريني أنه هو الجبار المتكبر. . . وأنه لا ملجأ منه إلا إليه. . . ولم أحاول الخروج من الماء لأني كنت على عمق كبير. . .

ومع ثاني شهقة. . . تذكرت صلاة الجمعة التي ضيعتها. . . تذكرت حي على الفلاح. . . ولا تستغربوا إن قلت لكم أني في لحظتها فقط فهمت معنى كلمة فلاح. . . ولكن للأسف بعد فوات الأوان. . . كم ندمت على كل سجدة ضيعتها. . . وكم تحسرت على كل لحظة قضيتها في معصية الله. . .

ومع ثالث شهقة. . . تذكرت أمي. . . وهالني الحزن الذي يمزق قلب أمي وأنا أتخيلها تبكي موت وحيدها وحبيبها. . . وكيف سيكون حالها بعدي. . .

ومع رابع شهقة. . . تذكرت ذنوبي وزلاتي ويا لكثرتها. . . تذكرت تكبري وغروري. . . وبدأت أحاول النجاة والظفر بأخر ثانية بقيت لي. . . فلقد سمعت فيما سبق أنه من ختم له بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله دخل الجنة. . .

فبدأت أحاول نطق الشهادتين. . . فما أن قلت أش‌هـ. . . حتى غص حلقي وكأن

يد خفية كانت تطبق على حلقي لتمنعني من نطقها. . . فعدت أحاول وأجاهد. . . أشهد. . . أشهد. . . وبدأ قلبي يصرخ ربي ارجعون. . . ربي ارجعون. . . ساعة. . . دقيقة. . . لحظة. . . ولكن هيهات. . .

بدأت أفقد الشعور بكل شيء. . . وأحاطت بي ظلمة غريبة. . . وفقدت الوعي وأنا أعرف خاتمتي. . . ووأسفاه على خاتمة كهذه والعياذ بالله. . .

إلى هنا القصة تبدو حزينة جداً. . . ولكن رحمة ربي وسعت كل شيء. . .

فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى صدري مرة أخرى. . . وانقشعت الظلمة. . . وفتحت عيناي لأجد مدرب الغوص يمسك بي مُثبتاً خرطوم الهواء في فمي. . . محاولاً إنعاشي ونحن مازلنا في بطن البحر. . .

ورأيت ابتسامة على محياه. . . فهمت منها أنني بخير. . . ونطق قلبي ولساني وكل خلية في جسدي وقبلهم روحي. . .

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. . . الحمد لله. . . الحمد لله. . . الحمد لله. . . وفجأة بدأ قلبي يحدثني قائلاً: لقد رحمك ربك بدعاء أمك لك. . . فاتعظ. . .

خرجت من الماء إخواني وأخواتي. . . شخص أخر. . . وأنا فعلاً أعني كلمة أخر. . . صارت نظرتي للحياة شيئاً أخر. . . وها أنا والحمد لله الآن شاب كل ما يرجوه من الواحد القهار. . . أن يختم له بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله لحظة الغرغرة التي أعرفها جيداً. . . شاب يريد أن يكون ممن ذكرهم الرحمن في كتابه الكريم قال تعالى في سورة مريم ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا

يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ [مريم: ٥٩]. . .

ثم يقول: عُدت وحدي بعد تلك الحادثة بفترة إلى نفس المكان في بطن البحر وسجدت لله تعالى سجدة شكر وخضوع وولاء وامتنان. . . في مكان لا أظن أن إنسياً قبلي قد سجد فيه لله تعالى. . . عسى أن يشهد علي هذا المكان يوم القيامة فيرحمني الله بسجدتي في بطن البحر ويدخلني جنته اللهم أمين. . .

عباد الله:

البحر يُذكِّرُنا بحديث رواه أبو داود عن رسول الله عندما قالت عائشة رضي الله عنها للرسول-ﷺ- عن صفية؟ قالت له: حسبك من صفية كذا وكذا تعني أنها قصيرة فقال-ﷺ-: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**» [صحيح الجامع ٥١٤٠].

أي لو اختلطت بماء البحر لأنتن البحر كله، والبحر لا ينتن لأن أملاحه كثيرة، ولكن هذه الكلمة - إنها قصيرة وهي تُرى قصيرة - أنتنت ماء البحر لو مزجت به.

الحمد لله أن رائحة الذنوب لا نشمها، فقد جاء في بعض الآثار في فتاوى ابن تيمية «مجموع الفتاوى« أن العبد إذا أذنب ذنباً تباعد عنه الملك ميلاً من رائحة الذنوب، الحمد لله أننا لا نشم ذنوبنا وإلا فرائحتنا تزكم الأنوف، ومقدار ذنوبنا يطبق الأرض نتنا.

ويذكرنا البحر بذلكم الرجل الذي قص لنا رسول الله -ﷺ- خبره، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ-: «**أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم ألتمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل**

الذي أجله، لم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلّفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي آتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا»[رواه البخاري].

ما أعظمها من قصة جمعت بين الإحسان، وحسن الأداء، والأمانة والرضا بالله شهيداً وكفيلاً. . ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾[الأعراف: ١٧٦].

عباد الله: انظروا وتأملوا إلى تلك السفن التي تُبحر في ظهر هذا المخلوق العجيب من يُسيّرها من يقودها إنه الله جل وعلا القائل: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾[الشورى: ٣٥].

السفن الجواري في البحر كالجبال آية أخرى من آيات الله هذا البحر من أنشاه؟ هذه الريح من سيرها وسخرها إلا الله.

إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره. .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ في إجرائهن وفي ركودهن على السواء آياتٌ لكل صبارٍ شكور.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشورى: ٣٤]

فيحطمهن أو يغرقهن بما كسب الناس من ذنب ومعصية ومخالفة عن الإيمان الذي تدين به الخلائق كلها، فيما عدا بعض بني الإنسان!

لكن يا سبحان الله وإذا حلّت بنا مصيبة لجأنا إلى الله، لكن إذا فُرجت ضل من تدعون إلا إياه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧]

وإذا أصابتكم شدةٌ في البحر حتى أشرفتم على الغرق والهلاك، غاب عن عقولكم الذين تعبدونهم من الآلهة، وتذكَّرتم الله القدير وحده؛ ليغيثكم وينقذكم، فأخلصتم له في طلب العون والإغاثة، فأغاثكم ونجَّاكم، فلمَّا نجاكم إلى البر أعرضتم عن الإيمان والإخلاص والعمل الصالح.

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا فلما وصلنا إلى الشاطئ نسيناهُ

ونركب الجو في أمنٍ وفي دعة وما سقطنا لأن الحافظ اللهُ

قال رجل لأحد الصالحين أخبرني عن الله؟ فقال ألم تركب البحر قال بلى؟ قال هل حدث لك مرة أن حلّت بكم عاصفة قال نعم؟ قال: وانقطعت الحيل عن الملاّحين ووسائل النجاة قال نعم؟ قال فهل خطر ببالك وظهر في نفسك أنّ هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء قال نعم: قال فذاك هو الله لا إله إلا هو وسع كل شيء

علماً.

هذا وصلوا وسلموا على المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى اله فمن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشراً.

عاشوراء دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لم يزل بالنعم مُنعمًا، وبالمعروف معروفًا، وبالإحسان مُحسنًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، ويغيث ملهوفًا، ويجبر كسيرًا، ويجير خائفًا، ويرسل بالآيات تخويفًا. . وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الحمد لله حمداً طاب وانتشرا ... على ترادف جودٍ في الوجود سرى

الحمد لله حمداً سرمداً أبدا ... ما أضحك الغيث وجه الأرض حين

حمداً كثيراً به أرقى لحضرته ... جـــــــــــــــــــــــــــــــــــرى

ثم الصلاة على ختم النبوة من ... على منابر أُنسٍ أبلغ الوطَرا

مع السلام الذي يُهدى لحضرته ... إذا تقدّم كان الأولون ورا

ونسأل الله توفيقاً لطاعته ... يعم آلاً وصحباً سادة غُررا

ورحمــةً لــم نجــد مــن بعــدها كــدرا

أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

عباد الله: من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فعليه بتقوى الله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أيها المسلمون، في العاشر من محرم نصر الله الحق وأهله وخذل الباطل وحزبه، عاشوراء يوم النصر العظيم.

عباد الله: الصراع بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قديم قدم البشرية ذاتها، ولن يزال مستعرًا مشبوبًا إلى قيام الساعة، وهذه سنة الله في خلقه، وهي مقتضى حكمته ورحمته، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾ [محمد: ٤]. فالله تعالى قادر على أن يهلك الظالمين في لحظة، ويأخذهم على حينِ غرة، ولكنه أُبتلى بهم عباده المؤمنين

ليكشف معادنهم، ويمتحن صدقهم وصبرهم وجهادهم وبذلهم. فبالابتلاء يتميز المؤمن الصادق من الدعي المنافق، ويتبين المجاهد العامل من القاعد الخامل.

ولقد قصَّ الله لنا فصولاً كثيرة من هذا الصراع بين المؤمنين والكافرين.

عباد الله: ومن هذه القصص العظيمة قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون مصر في عهده، والتي تكرر ذكرها في القرآن فيما يقارب ثلاثين موضعًا، وهي أكثر القَصص القرآني تكرارًا؛ وذلك،

أولاً: لمشابهتها لما كان يعانيه الرسول -ﷺ- من صناديد قريش وفراعين هذه الأمة.

ثانياً: ولما فيها من التسلية له وللمؤمنين حينما يشتد عليهم أذى الكفار والمنافقين.

ثالثاً: لما اشتملت عليه من العظات البالغة والدروس والحكم الباهرة والحجج والآيات القاطعة.

وتبدأ قصة موسى مع فرعون منذ أن كان موسى حملاً في بطن أمه، فقد قيل لفرعون: إن مولودًا من بني إسرائيل سيولد، وسيكون على يديه هلاكك وزوال ملكك.

وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وقد نزح إسرائيل وأولاده من الشام إلى مصر في عهد يوسف بن يعقوب -عليهم السلام-، وكان عددهم آنذاك ثمانين شخصًا، ثم لم يزل عددهم ينمو ونسلهم يتكاثر حتى بلغوا في عهد فرعون الطاغية ستمائة ألف إنسان.

وعندما أُخبِر فرعون أن زوال ملكه سيكون على يد غلام من بني إسرائيل، أصدر

أوامره بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، حذرًا من وجود هذا الغلام.

حسبنا الله ونعم الوكيل، إذا تغلغل حب المُلْك والسُّلطة في القلوب تُسفك من أجلها الدماء، وتستحيا من أجلها النساء، وتهدر الأموال، لكن لن يغني حذر من قدَر، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف: ٢١]. يا فرعون من تخاف منه سيعيش في قصرك ويتربى في حِجْرك وتَصرِف عليه من مالك؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

واحترز فرعون كل الاحتراز أن لا يوجد هذا الغلام، حتى جعل رجالاً وقابلات يدورون على النساء الحوامل، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكرًا إلا ذبحه من ساعته.

وكان هارون عليه السلام قد ولد قبل بدء هذه المحنة، فأنجاه الله من كيد فرعون، وأما موسى عليه السلام فإنه لما حملت به أمه حرصت على إخفاء حملها خوفًا عليه من القتل، وكان خوفها عليه يزداد مع مرور الأيام وقرب وقت المخاض، ولما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعًا، وضاقت عليها الأرض بما رحبت، وركبها من الهمّ والخوف ما لا يعلمه إلا الله، وكان خوفها عليه أضعاف أضعاف فرحها بقدومه، ولكن الله جل وعلا ألهمها بما يثبّت به فؤادها، كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصص: ٧].

أتُلقي ابنها في اليم! ! أتُلقي فلذة كبدها بين الأمواج العاتية! ! نعم لأنه أمر الله وهو هنالك في رعاية الله. فاستجابت أم موسى لهذا الإلهام، وصنعت لابنها صندوقًا وألقته في نهر النيل، حيث كانت دارها مجاورة له، ألقته في النهر وكأنما ألقت معه عقلها وقلبها، فأصبح صدرها خاليًا من الطّمأنينة، خاليًا من الرّاحة

والاستقرار، ولولا أنّ الله ربط على قلبها بالإيمان وشدّ عزمها باليقين، لكشفت السر وأفسدت التدبير، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾[القصص: ١٠]، ويمضي الموج بالوليد الضعيف داخل الصندوق، يحفه الله بعنايته، ويكلؤه بحفظه ورعايته، حتى بلغ قصر فرعون، فالتقطه آل فرعون، ولما فتحوا التابوت وجدوا فيه ذلك الغلام الضعيف، ولكن رب الأرباب ومالك القلوب والألباب يلقي في قلب آسية زوجة فرعون فيضًا من الرحمة والرأفة والحنان على هذا الطفل الرضيع، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾[القصص: ٩]، وكانت آسيا عاقرًا لا تلد، وقوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٩٥] أي: كدناهم هذا الكيد وجعلناهم يلتقطون موسى ليكون لهم عدوًا وحزنا وهم لا يشعرون.

وقد أنالها الله ما رجت منه من النفع والخير، فهداها الله بسببه، وجعلها من أهل جواره وجنته، ولكن هذا الطفل المحفوف بعناية الله يفاجئهم بأنه لا يقبل ثدي امرأة ليرضع، فحاروا في أمره، واجتهدوا في تغذيته بكل ممكن، وهو لا يزيدهم إلا عنتًا وحيرة ورفضًا واستعصاءً، وبينما هم كذلك إذا بأخته تقبل عليهم، وكانت أمها قد أمرتها بأن تتابع أخاها وهو في الصندوق، وأن تقفو أثره، لتعلم مستقره وتستطلع خبره، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ [القصص: ١٢]، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهبوا معها إلى منزلهم، فلما رأته أمه ما كادت تصدق عينيها، فأخذته وضمته إلى صدرها وألقمته ثديها، فأخذ يرضع بنَهَم شديد، وهم في غاية الدهشة والسرور. وهكذا يأبى الله ﷻ إلا أن يحمل آل

فرعون هذا الوليد إلى أمه التي خافت عليه منهم، ثم يعطوها مع ذلك أجرة إرضاعها له، ويتعهدوا وليدها بالتربية والرعاية، مثل الذي يعمل في مهنته ويخلص فيها. . . قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[القصص: ١٣].

وما زالت الأيام تمضي والأعوام تترى، وكبر موسى وبلغ أشده، وآتاه الله حكمًا وعلمًا، فصار يأمر وينهى، ويقول فيسمع، ويشفع فيشفع، ولا غرو فهو ابن فرعون بالتبني، وهو ربيبه وواحد من أهل بيته، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[القصص: ١٤].

وبعد حين وقع في محنة عظيمة، حيث قتل رجلاً من قوم فرعون ما كان يريد قتله، وتخوّف من الطلب، ففر هاربًا إلى أرض مدين، ولبث فيهم عشر سنين، تزوج في أثنائها، ثم عاد إلى أرض مصر مع أهله، وفي الطريق إليها أكرمه الله برسالته، وأوحى إليه بوحيه، وكلمه من غير واسطة ولا ترجمان، وأرسله إلى فرعون بالآيات القاطعات والسلطان المبين، ولكن فرعون عاند وكابر، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[النازعات: ٢١-٢٤]، وادّعى أن ما جاء به موسى سحر، وأن عنده من السحر ما يبطله، وجمع السحرة من جميع أنحاء مملكته، فألقوا ما عندهم من السحر، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[يونس: ٨١]، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾[الأعراف: ١١٧]، ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأعراف: ١٢٢]، ولما انقطعت حُجة فرعون وخاب

كيده، وانكشف باطله وزيفه لجأ إلى القوة والبطش والتعذيب والتنكيل والملاحقة والتشريد وإرهاب الناس بالنار والحديد. إنه منطق الطغيان العاتي، كلما أعوزته الحجة وخذله البرهان وخاف أن يظهر الحق ويتمكن أهله ورواده.

ثم أرسل الله ﷻ على فرعون وقومه آيات عجيبة وعقوبات متنوعة، من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١]، ولكنها - والعياذ بالله - لم تزدهم إلا عنادًا واستكبارًا وظلمًا وعدوانًا، يقول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[الأعراف: ١٣٣]، ولما تمادى فرعون في طغيانه وإيذائه لموسى ومن معه أوحى الله إلى موسى أن يخرج بالمسلمين من أرض مصر ليلاً، فخرجوا قاصدين بلاد الشام، فلما علم فرعون بخروجهم جمع جيشه وجنده جنوده من شتى أنحاء مملكته ليلحقهم ويمحقهم في زعمه، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٦-٥٣].

فخرج فرعون وجنوده في أثرهم، حتى أدركهم عند البحر الأحمر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[الشعراء: ٦١]، فالبحر أمامهم، والعدو خلفهم، فأجابهم موسى بلسان المؤمن الواثق بأن الله معه ولن يضيعه، وقال لهم بكل ثقة وثبات: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشعراء: ٦٢]،

فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه وهو يتلاطم بأمواجه، فانفلق - بإذن الله - اثني عشر طريقًا يابسًا، وصار هذا الماء السيال وتلك الأمواج العاتيات كأطواد الجبال الراسيات، فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين، ودخل فرعون وجنوده في أثرهم لاهثين سادرين، فلما جاوزه موسى وقومه وتكاملوا خارجين وتكامل

فرعون وقومه داخلين أطبقه الله عليهم وأغرقهم أجمعين، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: ٧٧-٧٩]، وهذا هو مصير أعداء الله في كل حين، وتلك هي عاقبة المكذبين الضالين، وما ربك بظلام للعبيد، يقول الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[العنكبوت: ٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

عباد الله:

ويُستفاد من هذه القصة:

أولاً: أن العاقبة للمتقين والنصر حليفهم متى ما تمسكوا بدينهم، واستنزلوا النصر من ربهم، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[آل عمران: ١٢٦]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[غافر: ٥٢].

ثانياً: أن الباطل مهما انتفخ وانتفش وتجبر وتغطرس وظن أنه لا يمكن لأحد أن ينازعه أو يرد كيده وباطله أو يهزم جنده وجحافله فإن مصيره إلى الهلاك وعاقبته هي الذلة والهوان، فهذا فرعون الطاغية بلغ به التكبر والغرور أن يدّعي الألوهية، وأن يعلن للناس بكل جرأة وصفاقة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وأن يقول بملء فيه من غير حياء ولا مواربة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[النازعات: ٢٤]، ولكنه حين حل به العذاب لم يغن عنه ملكه وسلطانه، ولا جنده وأعوانه، ولا تبجحه وادعاؤه، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النازعات: ٢٦]

فيا ترى متى وقع هذا الحدث العظيم وتحقق هذا النصر المبين؟ ! لقد كان ذلك

في اليوم العاشر من هذا الشهر الكريم شهر الله المحرم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله -ﷺ- المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟** » قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرَّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله -ﷺ-: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**» [رواه البخاري ومسلم]. ، فصامه رسول الله «وأمر بصيامه. وقد كان صيام يوم عاشوراء واجبًا قبل أن يفرض صيام رمضان، فلما فرض صيام رمضان أصبح صيام عاشوراء سنة مؤكدة.

تقول حفصة رضي الله عنها: «**أربعٌ لم يكن رسول الله يدعهن: صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، وركعتان قبل الفجر**». [رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني].

وبيّن النبي -ﷺ- أن صيام هذا اليوم يكفر ذنوب سنة كاملة فقال: «**صيام عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**» [رواه مسلم]. ، وفي صحيح مسلم أيضًا: «**خالفوا اليهود، صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده**».

عباد الله: اعلموا أن من المفارقات العجيبة ما حصل في هذا اليوم المبارك أيضًا من قتل سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وعن أبيه وأمه وآل بيته، حيث قُتِل في فتنةٍ عظيمة بين فئتين من المسلمين، وهي فتنة طهّر الله منها أيدينا فلا نخوض فيها بألسنتنا، إن كل مسلم ينبغي أن يحزنه مقتل الحسين أو حتى غير الحسين من عامة المسلمين فكيف إذا كان من أهل الفضل والمكانة، وكيف إذا كان من قرابة رسول الله -ﷺ-، فإنه -رضي الله عنه- من سادات المسلمين وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله -ﷺ- وكان عابداً شجاعاً سخياً.

ولكن الذي ينبغي التنبيه إليه هو أن ما يفعله بعض الشيعة في هذا اليوم من البكاء

والنواح على قتل الحسين عليه السلام وما يقومون به من تعذيب أنفسهم وإسالة الدماء من وجوههم وصدورهم وظهورهم والتقرب إلى الله بضرب أبدانهم بالسلاسل والسكاكين ولطم خدودهم ونتف شعورهم ليس من الإسلام في شيء، وهو من البدع المحدثة والمنكرات الظاهرة ومن كبائر الذنوب - يا عباد الله: - التي تبرأ رسول الله -ﷺ- من مرتكبيها فقال: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» [متفق عليه]، وعن أبي موسى -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- «**برئ من الصالقة والحالقة والشاقة**» [متفق عليه]. والصالقة هي التي ترفع صوتها بالنياحة والندب، والحالقة هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة هي التي تشق ثوبها، فكل عمل يدل على الجزع والتسخط وعدم الرضا بقدر الله فإنه محرم. ويضاف إلى ذلك ما في هذه الأعمال البدعية المؤذية للأبدان من حماقة وسفاهة وتشويه لصورة الإسلام وتنفير لغير المسلمين من الدخول فيه، وقد رأينا بعض وسائل الإعلام العالمية المعادية تحرص على نشر هذه الأعمال البدعية بالصوت والصورة، زاعمة بأن هذا هو الإسلام، وأن هذا ما يفعله المسلمون في هذا اليوم من كل عام. والعجيب من أمر الرافضة أن أباه كان أفضل منه، وقُتِل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، ولا يتخذون مقتله مأتماً، وكذلك عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، كما يفعل هؤلاء الجهلة يوم مصرع الحسين.

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها قول النبي -ﷺ-: «**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أُصيب منها**» [رواه الإمام أحمد وابن ماجة].

ومنهج أهل السنة في الصحابة الكرام من آل البيت وغيرهم هو اعتقاد عدالتهم جميعًا، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد رسولها؛ ولهذا اختارهم الله تعالى لصحبته ونصرته وتبليغ هديه وسنته، ويدينون لله ﷻ بمحبتهم كلهم والترضي عن جميعهم، ويسكتون عما شجر بينهم وحصل لهم من الفتن والمحن، ويعتقدون أنهم جميعًا مجتهدون مريدون للحق، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه مغفور، وإن أخطاءهم مهما عظمت فإنها مغمورة في بحور حسناتهم التي من أعظمها صحبتهم لرسول الله وجهادهم معه، رضي الله عنهم أجمعين، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الخسوف دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

اللهم لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد - أهل الثناء والمجد - أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد -، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

سبحانك اللهم خير معلِّم علّمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مُرشداً وابن البتول فعلّم الإنجيلا
وفجّرت ينبوع البيان محمداً فسقى الحديث وناول التنزيلا

وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء، وإمام المتقين وأشرف المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

عباد الله:

إن الأحداث والعبر والمواقف والقصص والمواعظ لا يتعظ بها إلا المؤمن. لا يعتبر منها إلا صاحب القلب السليم والنفس الزكية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق: ٣٧]

لا يتأثر بالأحداث والعبر والمواقف والقصص والمواعظ وسرعة الأيام إلا من يخشى الله وعذاب الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾[النازعات: ٢٦]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾[هود: ١٠٣].

يرى الناس فلان تزوج وبعد شهر من زواجه يموت.

الملك فلان بعد أن وصل إلى كرسي الملك مات، الشيخ فلان والعميد فلان والتاجر فلان، تركوا سلطانهم وهجروا مناصبهم ليلقوا ربهم بعد أن ذاقوا الموت، ألا ما أقرب الموت، ما أقرب أن يقول الناس مات فلان وهو أنت يا عبد الله.

أخي الحبيب:

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروسٍ زيّنوها لعرسها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صحيحٍ مات من غير علة ... وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهر
فمن عاش ألفا وألفين إنه ... لابد من يوم يسير إلى القبر

أين سيأتينا الموت وفي أي مكان؟ يعلم الله. . . اللهم أحسن ختامنا يارب العالمين.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]

: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النساء: ٧٨].

أخي الحبيب: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

عباد الله: ما أكثر المواعظ هذه الأيام قبل أيام وقع خسوف للقمر، والمتأمل يرى أنه ما كان يحدث قديماً خسوف للقمر ويسمع به الناس إلا نادرا، أمّا في زماننا كثُر الخسوف والكسوف والأهوال العظام، فلا بد أن يعتبر المعتبرون ويتعظ المتعظون ويخاف الخائفون.

الخسوف آيةٌ من آيات الله وهذه الآيات لا يُرسلها الله لنا عبثًا ولا سُدى إنما يرسلها تخويفًا لعلنا نخاف، لعلنا نرجع ونعود، يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩].

عباد الله: إنّ حكمةَ الله اقتضت أن العبادَ ما عملوا عملاً على خلاف شرع الله إلا وعاقبهم من العقوبات في الدنيا ما يكون فيه اعتبارهم، وما من عقوبةٍ إلا وبينها وبين المعصية تناسبًا ظاهرًا أو باطنًا.

هذه الآية رسالة إلى كل عاصي إلى كل مقصر إلى كل مضيع لأوامر الله أن لهذا الكون خالقاً مدبراً حكيمًا لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون لو كان كيف يكون.

إنها رسالة أن تنتبه يا عبد الله من غفلتك من معاصيك فإن لك موقفاً بين يدي الله لا محالة يحاسبك فيه على الصغير والكبير والفتيل و القطمير.

إنها رسالة أن هناك ما هو أشد من الخسوف والكسوف والزلازل والبراكين، إنه

الموت والسكرات والقبور الموحشات والصراط والميزان والحشر والنشر والوقوف بين يدي رب الأرض السماوات.

في هذه الآية عباد الله: رسالة أن كل ما في الكون خاضعاً لله خاشعاً له مُطيعاً لأوامره.

قال جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[الحج: ١٨].

فكل شيء في الكون يسجد لرب الأرض والسماوات إلا كفرة الجن والإنس.

عباد الله: انظر إلى الكون كله من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه لتتعرف على وحدانية الله، وعظمة الخالق جل في علاه.

انظر إلى السماء وارتفاعها، والأرض واتساعها، والجبال وأثقالها والأفلاك ودورانها، والبحار وأمواجها.

انظر إلى كل متحركٍ وساكن، والله إن الكل يقر بتوحيد الله ويعلن السجود لله ولا يغفل عن ذكر مولاه إلا من كفر من الجن والإنس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرة

ابحث وقل: من ذا الذي يخرج منها الثمرة؟ !

ذاك هو الله. . الذي أنعمه منهمرة ذو حكمةٍ بالغة وقدرةٌ مقتدرة. .

وانظر إلى الشمس التي جذوتها مستعرة ...

فيها ضياءٌ وبها حرارة منتشرة. .

ابحث وقل: من ذا الذي يخرج منها الشررة؟ !

ذاك هو الله الذي أنعمه منهمرة ذو حكمةٍ بالغة وقدرةٍ مقتدرة. .

الشمس والبدر من آيات قدرته والبر والبحر فيضٌ من عطاياه
الطير سبّحه والوحش مّجده والموج كبّره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم والنحل يهتف له حمداً فى خلاياه
قدّسه والعبد ينسى وربى ليس ينساه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم

عباد الله: في الخسوف والكسوف رسالة أن كل شيء يتغير يتحول ويتغير ويزول إلا الله لا يتغير ولا يحول ولا يزول.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

الشمس بقوتها ومجراتها وضوءها تتغير وتكسف ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ [التكوير: ١].

القمر بنورها وجمالها تتغير وتخسف ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ [القيامة: ٧].

الجبال الثابتة الراسية لا بد أن تتغير وتزول، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه: ١٠٥].

أغنياء أصبحوا فقرا، فقراء أصبحوا أغنياء، أحياء أصبحوا أموات، أموات أصبحوا أحياء، أصحاء أصبحوا مرضى، مرضى أصبحوا أصحاء، كل شيء يتغير

ويزول إلا الله لا يتغير ولا يزول سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن: ٢٩]

يغفرُ ذنباً، ويفرج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيران، ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً، ويشبع جائعاً، ويشفي مريضاَ، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: هذه الآيات والحوادث لا تزيدنا إلا تعظيماً لله وحباً لله وثناءً لله وتوكلاً على الله، فهو القوي وكل قوي غير الله ضعيف، وهو الغني وكل غني غير الله فقير، وهو العزيز وكل عزيز غير الله ذليل، وهو العظيم وكل عظيم غير الله حقير، وهو الحي وكل حي غير الله ميت.

المؤمِنُ يعتقد أن الله خالقُ هذا الكون، كلّ ما يتحرَّك في السماء وما تمورُ به الأرض كلُّ نسمةِ بَشر وحَرَكة شجر بإذنِ الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ

﴿كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾[الفرقان: ٢].

لا يفعل الله شيئًا عَبثًا، لا يفعل شيئًا إلاّ لحكمةٍ ارتضاها، ولا يجري في الكون أمرٌ إلا بتدبيره وتقديرِه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام: ٥٩]. وبهذا نعلَم أنّ الذي يسيِّر الطبيعةَ ويُسيِّر الكونَ هو الله تبارك وتعالى

أيُّها المسلمون: مِن رحمة الله بالعباد أن يُرسل من حين إلى آخر بعض الآيات الدالة على عظمته وربوبيَّته وجلاله، ليثوب الناس إليه بعد طول فتور، وليخافهُ المذنبون بعد غفلة وغرور، وليُقْلع أهل الشرِّ عن جميع الشرور.

قال قتادة: «**إن الله تعالى يخوّف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون**».

فالحكمة من إرسال الله بالآيات تخويف العباد لعلَّهم يرجعون.

عباد الله:

الناس عند حدوث الآيات أصناف ثلاثة:

فمنهم الجاحدون المكذبون كما جحد فرعون وقومه بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، وفي هؤلاء قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾[الأعراف: ١٣٢]

ومنهم المعرضون كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ

عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾[الأنعام: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾[القمر: ٢].

وأمَّا المؤمنون الموقنون فهؤلاء هم الذين ينتفعون تمام المنفعة بهذه الآيات، فتحملهم على الخوف والمبادرة إلى التضرع والدعاء والسجود.

عباد الله:

كثُر الخسوف في هذا العصر؛ لأن المعاصي زادت وكثرت الذنوب وخاصة الربا والزنا وشرب الخمور.

إن لذهاب ونقصان ضوء القمر ارتباطًا مباشرًا بأعمال بني آدم وبمعاصي بني آدم، والمعصية شؤمٌ كلها، ولها عواقبها على الأنفس والأهل والمجتمعات والدول، وحتى على الكون.

أما شؤمها على العبد فيهون العبد على ربه، وترتفع مهابته من قلوب خلقه، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، يقول الحسن رحمه الله: «**هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم**».

أخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: «لما فُتحت قبرص رأيت أبا الدرداء -رضي الله عنه- جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: «**ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى**».

بسبب الذنوب والمعاصي يكون الهم والحزن، ويكون العجز والكسل وتفشو البطالة، ويكون الجبن والبخل، ويكون غلبة الدين وقهر الرجال.

بالمعصية تزول النعم، وتحل النقم، وتتحول العافية، ويستجلب سخط الرب،

فكيف لا ينخسف قمر أو ينكسف شمس.

إذا أُبتلى العبد بالمعاصي؟ ! استوحش قلبه وضعف بأهل الخير والصلاح ارتباطه، قال بعض السلف: «**إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي**».

وأما شؤم الذنوب والمخالفات على الدول والمجتمعات فأمر عظيم وخطرٌ جسيم، فكم أُهلكت من أمة، وكم دُمّرت من شعوب، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾[الأنبياء: ١١]، وقال جل شأنه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٩ -٢٥]

بسبب المخالفات تتوالى المحن، وتتداعى الفتن، وترتفع الأسعار، وتتعقد المعيشة، وتكثر المخاوف، وتقل الوظائف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

عباد الله: إن بلاداً من بلاد الله الواسعة كانت قائمةً شاخصة، فظلم سُكّانها أنفسهم، فحل بهم أمر الله وسنته، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨].

فعمَّ قومَ نوح الغرق، وأهلكت عادا الريح العقيم، وأخذت ثمود الصيحة، وقلبت على اللوطية ديارهم، فجعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، فساء مطر المنذَرين، قال جل وعلا: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

إنها الحقيقة الصارخة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾[العنكبوت: ٤٠]، تلكم الذنوب، وتلكم عواقبها، وما هي من الظالمين من أمثالنا ببعيد.

ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، ولا تخلّلت في دولة إلا أسقطتها.

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الطوفان في معرفة الشيطان «١»

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا ... وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضُرٍ يحل بنا ... فإن تولت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ... فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه
ونركب الجو في أمنٍ وفي دعةٍ ... وما سقطنا لأن الحافظ الله

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون!

اتقوا الله تعالى لتكونوا من أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس: ٦٢]. من هم يارب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٣]

ما جزاؤهم: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]

اللهم اجعلنا ممن يبشّر عند الموت بروح وريحان، ورب راض غير غضبان.

عباد الله: اعلموا أن لكل شيء بداية، ولكل بداية نهاية، والحياة سباق ولكل سباق غاية، ألا وإنكم في دار ابتلاء واختبار، وإن الغاية الجنة أو النار، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

وقد جعل الله للجنة طريقاً واحداً هو طريق الإسلام والإيمان والقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]

وجعل الله للجنة أهلاً يعملون الصالحات، ويفعلون الخيرات ويتنافسون في إرضاء رب الأرض والسماوات، جعلهم الله مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وكما أن للجنة أهلاً فإن لها دعاة يدعون إليها، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم، وهم أحسن الناس وأفضل الناس وأرفع الناس مدحهم الله بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣]

وهم الذين أنعم الله عليهم وأحلهم أفضل الدرجات، ووفقهم لاستباق الخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠].

حسُنت أخلاقهم، وصلُحت أعمالهم وطهرت سريرتهم، وأرضوا ربهم فسعدوا في الدنيا والأخرى وفازوا بجنة عرضها السماوات والأرض اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين.

وكما أن للجنة أهلاً فإن الله جعل للنار أهلاً، وبعمل أهل النار يعملون، يعملون المنكرات ويفعلون الفواحش والموبقات، يتنافسون في لإرضاء الهوى والشيطان والشهوات، هم مفاتيح للشر مغاليق للخير.

ساءت أخلاقهم وفسدت أعمالهم واسخطوا خالقهم فخسروا الدنيا والأخرى

وكان مصيرهم النار وبئس القرار، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

عباد الله:

كما أنَّ للجنة دعاة يدعون الناس إليها فكذلك للنار دعاة يدعون الناس إليها، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٢].

دعاة جهنم يزينون المعصية للناس، ويدعون إلى الإثم، يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا، كبيرهم وزعيمهم ورئيسهم وأشد الخلق دعوة إلى جهنم، وأعظم الخلق عداوة لله تعالى، وشر النفوس وأخبثها؛ إبليس لعنه الله، وأعاذنا والمسلمين منه ومن ذريته.

إبليس الذي خرج عن طاعة الله واستكبر.

إبليس الذي أظهر عداوته لأبينا آدم فرفض السجود له كبراً وغرورا.

إبليس الذي توعّد آدمَ وذريته بالإغواء والتضليل ما دامت أرواحهم في أجسادهم. قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين.

إذا فهذه الحياة في حقيقتها معركةً وحرباً ضارية بين الإنسان وبين الشيطان، لا تنتهي هذه الحرب إلا بموت الإنسان، فما دام في الإنسان عرق ينبض فهو هدف للشيطان وغاراته وقانا الله منها، سئل الحسن البصري هل ينام الشيطان؟ فقال: «**لو نام لاسترحنا منه**».

وتبدأ معركة الشيطان مع ابن آدم من حين ولادته ،عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**»، ثم قال أبو هريرة -رضي الله عنه- : اقرءوا﴿ إِن شِئتم وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران:٣٦]

[مسلم ح٢٣٦٦، البخاري ح٤٥٤٨]

وقد شرع لنا نبينا من الذكر ما نقي به أولادنا من الشيطان وذلك قبل وجودهم، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره**» [البخاري ح٧٣٩١، مسلم ح١٤٣٤].

ومن مكايد الشيطان أن يضيع علينا صلاتنا وخشوعنا :

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» [البخاري ح٧٥١].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: «**الشيطان يقبل على المرء، وهو في صلاته يقول: اذكر كذا اذكر كذا -لما لم يكن يذكر- حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**» [البخاري ح٦٠٨، مسلم ح٣٨٩].

وعن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص -رضي الله عنه- أتى النبي -صلى الله عليه وسلم-فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا. قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني**» [مسلم ح٢٢٠٣، أحمد ح١٧٤٤٠].

ثالثا – ومن تخذيل الشيطان وتثبيطه وكيده ما يصيب الإنسان من كسل وتثاقل:

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «**التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان**» [البخاري ح٣٢٨٩].

رابعا: حتى النوم ، ينام الإنسان فلا يسلم من تسلط الشيطان، فيتسلط عليه قبل النوم وأثنائه،

واسمعوا الى هذا الحديث المبارك فعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده قال: فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمس مائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان.**

فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمس مائة سيئة؟ قالوا: فكيف لا يحصيها؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا حتى ينفتل، فلعله لا يفعل ، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام» [الترمذي ٣٤١٠].

وفي المنام يأتي الشيطان بالأحلام المخيفة التي فيها سقوط وقتل ودماء واشياء، مخيفة فهذه احلام لا نعبرها ولا ينبغي للإنسان أن يسأل عن تفسيرها بل يسكت عنها ويستعيذ بالله من شرها فإنها لا تضره.

عن أبي قتادة –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: «**الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها، ولا يحدث بها أحد فإنها لا تضره**» [البخاري ح٧٠٠٥، مسلم ح٢٢٦١].

وعن جابر -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال لأعرابي جاءه فقال إني رأيت أن رأسي قطع فأنا أتبعه، فضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ((**لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام**» [مسلم ح٢٢٦٨].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**» [البخاري ح١١٤٢، مسلم ح٧٧٦].

ومما يفوت المسلم بسبب عقد الشيطان قيام الليل، وصلاة الفجر فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال ذكر عند النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال: « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» [البخاري ح١١٤٤، مسلم ح٧٧٤].

خامسا - ومن الأحوال التي يكيد فيها الشيطان: الطعام والشراب:

فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**» [مسلم ح٢٠١٨].

ويستمر الكيد الشيطاني للإنسان حتى اللحظات الاخيرة من حياتنا حتى عند الموت يستمر الشيطان في الوسوسة والنزغ فمن الناس من يجور في الوصية عند الموت، ومن الناس من يغفل عن قول كلمة التوحيد؛ فتسوء خاتمته.

ها هو أحمد بن حنبل أمير المؤمنين في الحديث صاحب المسند ثلاثين ألف

حديث روي أنه في مرض موته كان يُلَّقن كلمة التوحيد وهو يقول لا ليس بعد. لا ليس بعد. ،ومرة ثانية وثالثة وهو يقول لا لا ليس بعد، فخاف الناس أن تكون خاتمة سيئة ،فقام من غيبوبته، فسئل عن ذلك فقال جاءني الشيطان على صورة أبي فقال يا أحمد مت قبلك ووجدت أن خير دين هو اليهودية فمت على اليهودية فقلت لا لا ليس بعد .

ثم جاءني على صورة أمي وقال لي :يا أحمد كنت خير أم لك وقد مت قبلك ووجدت أن خير دين هو النصرانية فمت على النصرانية فقلت لا لا ليس بعد.ثم قال لي الشيطان يا أحمد ما استطعت لك يريد مني العجب والغرور فقلت ليس بعد ليس بعد .

وبعدها نطق كلمة التوحيد ومات عليها رحمه الله .

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

ولخطر هذا العدو وشره فقد حذرنا الله من وساوسه وكيده، وأمرنا أن نتخذه عدوًا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴿٦﴾﴾[فاطر: ٦]. راحت إبليس وسعادته أن يجمع أكبر قدر من الخلق معه في السعير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ

لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ [فاطر: ٦].

ونهانا الله عن عبادته وطاعته قال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ [يس: ٦٠]

عباد الله: والشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، ويساعده على ذلك طبيعته التي خُلِق عليها، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧]

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول -ﷺ- قال: «**إن الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم**»، فهذه هي الوسوسة إذ سماه الله تعالى بالوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ [الناس: ٤] أي: أن الشيطان جاثِم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذَكَر الله خَنَس».

عباد الله:

إن للشيطان- مكائد ومصايد يصطاد بها الإنسان، كما أن له أساليب عديدة لإضلاله،

فالشيطان **أولاً**: لا يأتي إلى الإنسان ويقول له:: اترك الصلاة أو اكفر بالله، فلو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكن يأتيه بأساليب ذكية ومختلفة، ويتدرّج معه بخطوات متعاقبة ومتتالية، ولو تطلّب ذلك وقتًا طويلاً وزمانًا بعيدًا.

ولهذا في أربعة مواضع نهانا الله عن اتباع خطوات الشيطان موضعين في سورة البقرة وموضوع في الانعام وموضع في سورة النور

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨]

وفي هذا الباب أحببنا أن نذكر قصة وقعت في بني إسرائيل، وذكرها وهب بن مُنبِّه أحد التابعين، وذلك على سبيل الاعتبار والحذر من أساليب الشيطان في إضلاله للإنسان:

إن عابدًا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثةُ إخوة لهم أخت، وكانت بِكْرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث في غزوة من الغزوات على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يُخَلّفون أختهم، فأجمع رأيهم على أن يُخَلّفوها ويتركوها أمانة عند هذا العابد من بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه وسألوه أن يُخَلّفوها عنده غاية رجوعهم من الغزو، فأبى ذلك عليهم، وتعوّذ بالله منهم ومن أختهم، فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال: أنزلوها في بيت تحت صَوْمعتي، بعيدًا عنها، فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة، ثم يأمرها فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام، فلبث على هذه الحالة زمانًا، ثم جاءه إبليس فرغّبه في الأجر وحضّه عليه، وقال له: : لو كنت تكلّمها وتحدّثها فتأنس بحديثك، فهي مسكينة وحيدة، وقد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حدّثها زمانًا، ثم أتاه إبليس فقال: لو دخلت وحدّثتها بداخل البيت لكان أسلم لكما والسترة لها أفضل، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل

يحدّثها ويأكلان الطعام معًا، فلم يزل إبليس يزيّنها له ويحسّنها في عينيه حتى لمسها ووقع بعد ذلك ما لا يحمد عُقْباه، فحملت الجارية منه، ووضعت له غلامًا، فجاءه إبليس بعد ذلك فقال له: أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك، فقال له إبليس: الحل هو أن تعمد إلى ابنها فتقتله وتدفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل العابد ذلك، ثم بعد ذلك جاءه إبليس فقال له: أتظن أن الجارية ستكتم إخوتها ما صنعت بها أو أنها ستصبر على أنك قتلت ابنها؟! فالحل الوحيد لك هو أن تقتلها وتدفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى قتلها وألقاها في الحفرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرة عظيمة.

وبعد فترة أقبل إخوتها من الغزو، فجاؤوا وسألوه عن أختهم، فعزّاهم في أختهم، وأخبرهم أنها ماتت بعد مرض شديد، وترحّم عليها وبكى عليها، وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فانظروا إليه. فأتى إخوتها القبر، فبكوا أختهم، وترحموا عليها، فأقاموا على قبرها أيامًا، ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جَنّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر، فسألهم عن أختهم فأخبروه بقول العابد، فأكذبهم الشيطان، وأخبرهم أن العابد لم يصدقهم في أمر أختهم، وأنه قد أَحْبَلَ أختكم وولدت له غلامًا فقتلهما معًا خوفًا منكم، وألقاهما في حفرة خلف باب البيت، فاستيقظ الإخوة الثلاث على منام واحد متواطئ، فتعجّبوا من ذلك، فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء، فقال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي إلى ذلك المكان فأنظر فيه، فانطلقوا جميعًا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم، فبحثوا الموضع كما وصف لهم في المنام، فوجدوا أختهم وابنها مقتولين في

الحفرة. فأمسكوا بالعابد وسألوه، فصدق قول إبليس فيما صنع بهما، فقدّموه ليُصلَب، فلما أوثقوه على خشبة أتاه الشيطان فقال له: لقد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أَحْبَلتها وقتلتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصوّرك خلّصتك مما أنت فيه من محنة، فكفر العابد، فلما كفر بالله تعالى، خلّى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه وقتلوه ومات على الكفر.

فهذه القصة ـ عباد الله ـ ذكرها ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس، وهي قصة يرويها المفسرون عند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[الحشر: ١٦].

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

ومن أساليبه الخبيثة **ثانياً**: أنه يأتي ويُظهِرُ النُصحَ للإنسان، فالشيطان يدعو المرءَ إلى المعصية، يزعم أنه ينصح له، ويريد له الخير، وقد أقسم لأبينا آدم حين وسوس إليه بأكل الشجرة أنه ناصِحٌ له، كما أخبر تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[الأعراف: ٢١]

و من الأساليب الماكرة التي نجح بها الشيطان مع بعض الناس، فيشعر الإنسان بأنه على خير، وأحسن من غيره، خاصّةً عندما يقارن بين حاله وحال أهل الفسق، ويجعله يحسب انه يُحسن صُنْعا.

يقول له أنت لو قصرت في الصلاة وأخرتها غيرك لا يصلي.

يوسوس له: أنت لو أكلت مبلغا من الحرام غيرك يأكل الملايين.

انت لا تصلي يكفي انك تحمل قلبا ابيض أحسن من بعض المصلين .

قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[فاطر: ٨].

الشيطان عنده القدرة على تزيين المعصية، وتصوير الحرام بصورة حسنة فالغناء والمزامير فن والخمر أم الخبائث مشروب روحي والعري تقدم والربا فوائد، قال الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأنعام: ٤٣].

ولا يزال بالإنسان حتى يُحسّن له الحرام، ويزيّن له فعله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ

﴿٤٠﴾[الحجر: ٣٩-٤٠].

الطوفان في معرفة الشيطان «٢»

الحمد لله الجواد الكريم الشكور الحليم، أسبغ على عباده النعم ودفع عنهم شدائد النقم وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل العظيم، والخير العميم

يارب...

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضاب
إذا صح منك الود فالكل هيّنٌ ... وكل الذي فوق التراب تراب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خراب

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمد -ﷺ- المصطفى المختار وعلى آله وصحبه الأطهار.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأن نقدم لأنفسنا أعمالاً صالحة مباركة تُبيِّض وجوهنا يوم نلقاه ﷻ.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

عباد الله: وقفنا مع الشيطان الرجيم وعرفنا خطواته وبعض مداخله وعرفنا خطره وشدة ضرره على المسلم خاصة وعلى البشرية عامة، ولذلك حذّرنا الله منه من فوق سبع سماوات فقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

عباد الله: إن الشيطان يعمل جاهداً من أجل إضلال بني آدم، ولا يجد باباً

يدخل منه لإغوائهم إلا ولجه، فهو يحاصر الإنسان من كل جهاته، يأتيه من قبل الحسنات، ويأتيه من قبل السيئات، يأتيه من قبل الحرص، ومن قبل الخوف، ومن قبل الأهواء والشبهات، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[الأعراف: ١٧].

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن قتادة رحمه الله قال: «**أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطّأهم عنها وعن شمائلهم زيّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها.** ». **سبحان الله**: آتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

عباد الله : أسوأ ما يصنعه الشيطان ان يصد العبد عن طريق الحق ويوهمه أنه سائر على الطريق المستقيم وهو على الباطل، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾
[الأعراف: ٣٠]

يروي في هذا المعني عن (وهب بن منبه) انه قال: إن إبليس لقي يحي ابن زكريا (عليه السلام) ، فقال له يا يحي بن زكريا ، اخبرني عن طبائع ابن ادم عندكم؟ قال إبليس: أما صنف منهم فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم علي شيء. . والصنف الثاني: فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم وقد كفونا انفسهم. . والصنف الثالث: فهم أشد الأصناف علينا ، فنقبل علي احدهم حتي ندرك حاجتنا منه ثم يفزع إلى

الاستغفار فيفسد به علينا ما ادركنا منه. . فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه. .

ومن أساليب الشيطان كذلك لإضلال الإنسان رابعا: الوعد والتمنية، فالشيطان يعد الناس بالمواعيد الكاذبة، ويُعلّقهم بالأماني المعسولة، تشجيعًا لهم ليوقعهم في المعاصي والضلال، فالشيطان مثلاً يعد المُقامِر والمُرابِي والسارق وآخذ الرشوة بالربح السريع والكثير، ويعد الظالم بالعزّة والنصر، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[النساء: ١٢٠].

ومن أساليب الشيطان في إغواء الإنسان النَّزْغ، والنَّزْغ هو الكلام الذي يُفسِد العلاقة بين الناس، ولقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه عن نَزْغ الشيطان وحذّرنا منه، فقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[الإسراء: ٥٣].

فالشيطان يسعى إلى التَّحرِيش وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس، وشحن النفوس بالغِلّ والغضب، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[الأعراف: ٢٠٠]. [رواه مسلم].

ومن وسائل الشيطان مع المسلم أن ينسيه ذكر الله، فهو يلهي المسلم عن طاعة ربه، وأول ما ينسيه ذكر الله، نحن في زمن كثرت فيه الملهيات.

كم هي الساعات التي نقضيها مع الجوالات، وكم نذكر الله تسبيحا وتهليلا وصلاة على النبي المصطفى ﷺ.

كم هي الأوقات التي نقلّب فيها شاشات الجوال والقنوات، وكم هي الأوقات التي نقلّب فيها صفحات القرآن الكريم، قال تعالى: قال الحق جلّ وعلا: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

قال أبو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعاً وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثاً فقال: لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه.

عباد الله:

من أهم وسائل الوقاية من الشيطان عدم موالاة الشيطان وعدم التشبّه به.

كيف يوالي العبد الشيطان؟ بأربعة أمور **أولها**: الاستعانة بالسَّحَرَة والكَهَنَة والمشعوذين، فمن لجأ إليهم وذهب إليهم صار وليًّا للشيطان، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾**﴾[النساء: ١١٩].

ومن صور موالاة الشيطان والتشبه به **ثانياً**: الأكل والشرب والأخذ والعطاء بالشمال، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله**» [حديث صحّحه المنذري في الترغيب والترهيب].

ومن صور الموالاة والتشبه بالشيطان **ثالثاً**: التبذير، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾**﴾[الإسراء: ٢٧].

ومن صور موالاة الشيطان **رابعاً** الكِبْر، فالكِبْر هو سبب شقاء إبليس وخروجه من الجنة، وسيدخل بسببه النار، ولذلك من تحلّى بهذه الصفة فليعلم أنها من التشبه بالشيطان وموالاته، والشيطان من أعظم ما يدخل على الإنسان عن طريق الكِبْر.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: إن للشيطان رسل وأدوات يعينونه على ابن آدم منها ست الغضب والنساء، والغناء والنسيان، والعجلة، والوسوسة، أولها:

١ - **الغضب**: عند الغضب يتحول الإنسان إلى حيوان يلعب به الشيطان كيفما يشاء يضرب يقتل يُطلّق وهو لا يدري، عن سليمان بن صرد -رضي الله عنه- قال كنت جالساً مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد**» فقالوا له إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**تعوذ بالله من الشيطان**» فقال: وهل بي جنون. [البخاري ح٣٢٨٢].

وعن عطية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» [أبو داود ح١٧٨٤، أحمد ح١٧٥٢٤].

والغضب وسيلة للتحريش بين الناس والتفريق بينهم وهو غاية للشيطان قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[المائدة: ٩١].

عن جابر -رضي الله عنه- قال سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش**» [مسلم ح٢٨١٢].

ومن ذلك أيضاً التحريش بين الزوجين وإفساد قلبيهما، فعن جابر رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت**» قال الأعمش أراه قال: فيلتزمه. [مسلم ح٢٨١٣].

ومما يعين إبليس على ابن آدم **ثانياً فتنة النساء**: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]

ولقد نجح عدو الله في تطبيق هذا المخطط نزع اللباس لتحطيم كل شيء اسمه حياء منذ العصور البالية إلى عصرنا هذا.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**». [الترمذي ح١١٧٢]. «**استشرفها**» أي زينها في نظر الرجال. [تحفة الأحوذي ٤/ ٢٨٣].

عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن المرأة تُقبل في صورة شيطان**

وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» [مسلم ١٤٠٣].

خطب عمر -رضي الله عنه- الناس بالجابية فقال: «**إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قام في مثل مقامي هذا فقال: «أحسنوا إلى أصحابي. . . . ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان**» [الترمذي ح٢١٦٥، أحمد ح١٧٨].

قال سعيد بن المسيب: : ما آيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء.

ومن جنود الشيطان ورسله ثالثاً: **الغناء**: قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[الإسراء: ٦٤]. قال مجاهد هو الغناء والمزامير. [تلبيس إبليس ص٢٣٢].

الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

الغناء وسيلة لإبعاد الإنسان عن ذكر الله، وإلا فهل رئيتم احد يُغني وهو يذكر الله، فالغناء والقرآن في قلب عبدٍ ليس يجتمعان.

ومن جنود الشيطان رابعاً: **العجلة**: فمع المستعجل الزلل، وكم رأينا من مُستعجل وقع في ما لا يحمد عقباه، فعن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الأناة من الله والعجلة من الشيطان**» [الترمذي ح٢٠١٢].

خامساً: **النسيان**: قال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

[الأنعام: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾[يوسف: ٤٢].

أما الجندي الأخير من جنود الشيطان ورسله فهو **الوسوسة وإلقاء الشبهات على القلب:**

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**» [البخاري ح٣٢٧٦، مسلم ح١٣٤].

هذا وصلوا -عباد الله- على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الحمد لله القديم الأول، الذي لا يزول ملكه ولا يتحول، خالق الخلائق وعالم الذرات بالحقائق، مفنى الأمم ومحيي الرمم، ومعيد النعم ومبيد النقم وكاشف الغمم، وصاحب الجود والكرم، لا إله إلا هو كل شيء هالكٌ إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا هو تعالى عما يشركون.

الهدى:

أنت الذي آويتني وحبوتني وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودةً والعطف منك برحمة وحنان
ونشرت لي في العالمين محاسناً وسترت عن أبصارهم
وجعلت ذكري في البرية شائعاً عصياني
حتى جعلت جميعهم إخواني

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين.

أحِبُّوا رسولَ اللهِ يا قومُ إنّه مَحبَّتُه غُنْمٌ ومَرضاتُه ذُخْرُ
عَطوفٌ على ذِي الضّعفِ يُؤتيهِ عفوٌّ حليمٌ ما يضيق له صدرُ
فضله

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الليالي والأيام، وما تداولت السنين والأعوام.

عباد الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

عباد الله: ما زلنا وإياكم مع أشد أعداء الإنسان في هذه الحياة، مع العدو المبين، مع الشيطان الرجيم عرفنا مداخله، وعلمنا أهدافه ووسائله في معركة لا تتوقف الا بالممات في معركة العدو فيها لا نراه لكنه يرانا...

عباد الله: **ما هي الحروز التي نحتمي بها من الشيطان وكيده؟ ما هي الحصون التي نتحصن بها من الشيطان الرجيم؟** ثمانية حروز ثمانية حصون.

أول حرز نحتمي به من شر الشيطان الرجيم وكيده هو طاعة الله وعدم معصيته، وأهم طاعة وأعلاها في هذا الباب الإخلاص، فإن الشيطان بعيد عن كل مخلص، قريب من كل مشرك أو مراءٍ، لهذا فإن الشيطان صرّح عن عجزه أمام المخلصين واعترف بأنه لا يستطيع غوايتهم فقال: .:﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٣٩]

إخوة الإيمان: إن العبد إذا أدمن على الطاعات وفارق المعاصي، والسيئات، و حفظ جوارحه مما حرم الله وأكل الطيبات، حماه الله من الشيطان الرجيم، ومن كل الآفات ولا ننسى قول النبي -ﷺ- :«**احفظ الله يحفظك**» وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]

واذا قوي الايمان والاتصال بالرحمن يفر العدو الشيطان ها هو فاروق الأمة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وأرضاه، كان الشيطان لا يجرؤ أن يمر من طريق فيها عمر ا حتى إن رسول الله قال لعمر كما عند الشيخين من حديث سعد- رضي الله عنه -

«**إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك**».

فللَّه در هؤلاء الرجال

الأمر الثاني والحرز الثاني الذي يُقاوم به الشيطان **ذكر الله** سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرف: ٣٦]، أي: أنّ مَن غفل عن ذكر الله يُرسل الله عليه شيطانًا يكون له قرينًا.

جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن الحارث الأشعري أن زكريا عليه السلام أوصى قومه قائلاً: «**وآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذكر الله كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله**».

عبد الله:

عوّد لسانك التسبيح والتكبير والتهليل والاستغفار والدعاء ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا قال المؤمن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة في أول يومه كان ذلك حِرْزًا له من الشيطان في يومه، وكانت كعتق عشر رِقاب، وكُتِب الله له مائة حسنة**».

ومن ذلك قول: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»، من قالها لم يقربه سوء تلك الليلة.

ومن هنا تأتي أهمية الأذكار الصباحية والمسائية وأذكار الصلاة وأذكار النوم

فلنقرأها ولنعلمها أهلنا وأولادنا، حتى يحفظنا الله.

ومن أهم الأسلحة الفتاكة المقاومة للشيطان الحرز الثالث الاستعاذة بالله منه، فقد أُمرنا بالاستعاذة في القران في أربعة مواضع:

١- **الاستعاذة عند قراءة القرآن**: يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[النحل: ٩٨]

٢- **الاستعاذة عند الغضب**: يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[فُصِّلَت: ٣٦]

٣- **الاستعاذة عند تكاثر الوساوس على العبد**: يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٤-**تعويذ المولود**: يقول تعالى على لسان أم مريم بنت عمران رضي الله عنها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[آل عمران: ٣٦]

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

أما في السنة النبوية مواطن الاستعاذة فهي خمسة:

أولاً: عند الفزع فعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله -ﷺ- كان يعلمهم من الفزع: كلمات «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» وكان عبد الله بن عمر ﷺ يعلمهن من عقل من بنيه. [الترمذي ح٣٥٢٨، أبو داود ح٣٨٩٣].

ثانياً: عند دخول المسجد فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي -ﷺ- أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم**» [أبو داود ح٤٦١].

ثالثاً: عند دخول الخلاء فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان النبي -ﷺ- إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» [البخاري ح١٤٢، مسلم ح٣٧٥].

والخبُث ذكور الشياطين والخبائث إناث الشياطين.

رابعاً: عند سماع نهيق الحمار فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً**» [البخاري ح٣٣٠٣، مسلم ح٢٧٢٩].

خامساً: في الصلاة فعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله -ﷺ- يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي فقال: «**الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً - ثلاثاً - أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه. قال: نفثه الشعر، ونفخه: الكبر وهمزه: الموتة**» [الترمذي ح٢٤٢، أبو داود ح٧٧٥].

ومما يحمي به الإنسان نفسه من الشيطان **الحرز الرابع ألا وهو المحافظة على الوضوء**. فلا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

قال -ﷺ-: «**الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تُطْفأ النار بالماء، فإذا وجد أحدكم غضباً فليتوضأ**».

الحرز الخامس عباد الله: مما يُدفَع به كيدُ الشيطان ووساوسه **تلاوة القرآن وسماعه**، ومن ذلك قراءة آية الكرسي عند النوم، فإن من قرأها عند نومه لن يزال معه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

وقال النبي-ﷺ-: «**من قرأ آية الكرسي كل ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[رواه مسلم في صحيحه ح ٧٨٠، ١ / ٥٣٩].

وأيضًا قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة تحفظ الإنسان وتبعد الشيطان، قال رسول الله-ﷺ-: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين فختم بهما سورة البقرة، ولا يُقرَءان في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان**» [حديث صحيح رواه النسائي وغيره] وقال-ﷺ-: «**من قرأهما - أي: خواتم سورة البقرة - في ليلة كَفَتَاه**»، وفي رواية: «**لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام**». ومن ذلكم قراءة سورة البقرة في المنزل، فإنها تطرد عدو الله، يقول-ﷺ-: «**لكل شيء سَنَام، وإن سَنَام القرآن سورة البقرة، وإن الشيطان يفرّ من البيت الذي يُسمَع فيه سورة البقرة**»، فحصِّن بيتك بتلاوة سورة البقرة، فذاك خير لك.

ومما يدفع شرّ الشيطان قراءة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ والمعوذتين دُبرَ كل صلاة، وكان -ﷺ- يَرْقِي الحسن و الحسين، فلما أنزل الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[الفلق: ١]

و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[الناس: ١] ترك هذه الرُّقَى، واكتفى بهاتين السورتين.

فهما من أعظم ما يُقرأ على الأطفال، وفي البيت، وعند النوم، وعند القيام من النوم.

وتنفع هاتان السورتان من: الجان، والسحر، والعين ومن كل مرض -بإذن الله- حتى المرض والوجع في الجسم لك أن تَرْقِي جسمَك، وتَقرأ عليه وتنفث.

أيها المسلمون: ومما تُحَصَّنُ به البيوت لإبعاد الشياطين **سادساً هو عدم اتخاذ الصور والتماثيل**، فقد أخبرنا الصادق المصدوق أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو صور، وإذا لم تدخل الملائكة فمن المؤكّد أن تدخل الشياطين.

ومما تُحَصَّنُ به البيوت لإبعاد الشياطين **سابعاً هو عدم اتخاذ الكلاب**؛ فإن وجود الكلب في المنزل لغير صيد ولغير حراسة يمنع الملائكة من دخول البيت، فإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة، ووعد جبريلُ النبي -ﷺ- أن يأتيه ساعة، فانتظره النبي -ﷺ- حين حانت تلك الساعة، فلما تأخّر وفي يده عصا ألقاها وقال -ﷺ-: «**ما يخلف الله ولا رسله وعده**»، ثم نظر فإذا جِرْو كلب تحت سريره، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟ !** » فقالت: ما علمت دخوله، فأمر به فأُخرِج، فجاء جبريل فقال -ﷺ-: «**انتظرتك في هذه الساعة، وجلست لك**»، قال جبريل: «**إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب، منعني ذلك الكلب الذي في منزلك**». فينبغي على المسلم إذا اتخذ كلبًا أن يتخذه للحراسة وللضرورة، وأن لا يسكنه بيته، يخصّص له مكانًا خارج البيت أو في الحديقة حتى لا يمنع من دخول الملائكة.

أيها المسلمون: ومن طرق الوقاية من الشيطان **ثامناً البسملة**، والبسملة من أقوى

الأسلحة للوقاية من شرور الشيطان، ولها صور ومناسبات كثيرة، منها.

أولاً: ذكر البسملة في صباح كل يوم ومسائه، فعن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان -رضي الله عنه- يقول: قال رسول الله-ﷺ-: «**ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يضره شيء**» [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ثانياً: البسملة عند الخروج من البيت وقاية من الشيطان، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من قال - يعني إذا خرج من بيته -: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفِيتَ ووُقِيتَ وتنحَّى عنه الشيطان**» [أخرجه الترمذي وقال: «**حديث حسن صحيح**»].

وأيضًا البسملة عند الأكل تمنع مشاركة الشيطان فيه، ومن صور البسملة الدعاء عند جماع الرجل أهله، فعن ابن عباس أن النبي -ﷺ- قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره**» [أخرجه البخاري ومسلم].

ومن مناسبات البسملة ذكر اسم الله عند غلق الأبواب، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم - فكفّوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلّوهم، فأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا**. . . ». [أخرجه البخاري].

وأخيراً سأقف معكم مع حوار مع الشيطان أجراه صاحب المقامات يقول فيه بتصرفٍ يسير:

حاورت الشيطان الرجيم في الليل البهيم فلما سمعت أذان الفجر أردت للذهاب

إلى المسجد فقال لي: عليك ليل طويل فارقد.

قلت: أخاف أن تفوتني الفريضة قال: الأوقات طويلة عريضة قلت: أخشى ذهاب صلاة الجماعة.

قال: لا تشدد على نفسك في الطاعة فما قمت حتى طلعت الشمس. . .

فقال لي في همس: لا تأسف على ما فات فاليوم كله أوقات وجلست لآتي بالأذكار ففتح لي دفتر الأفكار.

فقلت: أشغلتني عن الدعاء قال: دعه إلى المساء.

وعزمت على المتاب، فقال: تمتع بالشباب! قلت: أخشى الموت قال: عمرك لا يفوت. . . وجئت لأحفظ المثاني.

قال: روّح نفسك بالأغاني قلت: هي حرام قال: لبعض العلماء كلام! قلت: أحاديث التحريم عندي في صحيفة.

قال: كلها ضعيفة ومرت حسناء فغضضت البصر قال: ماذا في النظر؟ قلت: فيه خطر، قال: تفكر في الجمال فالتفكر حلال، وذهبت إلى البيت العتيق فوقف لي في الطريق. فقال: ما سبب هذه السفرة؟

قلت: لآخذ عمرة فقال: ركبت الأخطار بسبب هذا الاعتمار وأبواب الخير كثيرة والحسنات غزيرة .

قلت: فما رأيك في بعض الأشخاص؟

قال: أجيبك على العام والخاص، قلت: أحمد بن حنبل؟

قال: قتلني بقوله عليكم بالسنة والقرآن المنزّل، قلت: فابن تيمية؟

قال: ضرباته على رأسي باليومية، قلت: فالبخاري؟ قال: أحرق بكتابه داري، قلت: فالحجاج؟

قال: ليت في الناس ألف حجاج فلنا بسيرته ابتهاج ونهجه لنا علاج.

قلت: فرعون؟

قال: له منا كل نصر وعون، قلت: فصلاح الدين بطل حطين؟

قال: دعه فقد مرغنا بالطين، قلت: أبو جهل؟

قال: نحن له أخوة وأهل، : فأبو لهب؟

قال: نحن معه أينما ذهب!

قلت: فالمجلات الخليعة؟

قال: هي لنا شريعة، قلت: فالانترنت والدشوش ؟

قال: نجعل الناس بها كالوحوش، قلت: فالمقاهي؟ قال: نرحب فيها بكل لاهي، قلت: ما هو ذكركم؟ قال: الأغاني، قلت: وعملكم؟قال: الأماني، قلت: وما رأيكم بالأسواق؟

قال: علمنا بها خفاق وفيها يجتمع الرفاق، قلت: كيف تضلّ الناس؟

قال: بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات. قلت: كيف تضلّ النساء؟ قال: بالتبرج والسفور وترك المأمور وارتكاب المحظور، قلت: فكيف تضلّ العلماء؟

قال: بحب الظهور والعجب والغرور وحسد يملأ الصدور، قلت: كيف تضلّ العامة؟

قال: بالغيبة والنميمة والأحاديث السقيمة وما ليس له قيمة، قلت: فكيف تضلّ التجار؟

قال: بالربا في المعاملات ومنع الصدقات والإسراف في النفقات.

قلت: فكيف تضلّ الشباب؟

قال: بالغزل والهيام والعشق والغرام والاستخفاف بالأحكام وفعل الحرام.

قلت: فما رأيك بدولة اليهود «**إسرائيل**»؟

قال: إياك والغيبة فإنها مصيبة وإسرائيل دولة حبيبة ومن القلب قريبة، قلت: فأبو نواس؟

قال: على العين والرأس لنا من شعره اقتباس.

قلت: فماذا يقتلك؟

قال: آية الكرسي منها تضيق نفسي ويطول حبسي وفي كل بلاء أمسي.

قلت: فما أحب الناس إليك؟

قال: المغنون والشعراء الغاوون وأهل المعاصي والمجون وكل خبيث مفتون.

قلت: فما أبغض الناس إليك؟

قال: أهل المساجد وكل راكع وساجد وزاهد عابد وكل مجاهد.

قلت: أعوذ بالله منك فاختفى وغاب كأنما ساخ في التراب وهذا جزاء الكذاب!

فيا أيها المسلمون: تحصّنوا بالله جل وعلا ولجأوا إليه، وتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله، ينجيكم من الشيطان وشره وشركه ووساوسه.

أسأل الله سبحانه أن ينجينا وإياكم من وساوس الشياطين ومن إغوائهم.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

سورة الحجرات «٦» الغيبة

الحمد لله الجواد الكريم الشكور الحليم، أسبغ على عباده النعم ودفع عنهم شدائد النقم وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل العظيم، والخير العميم.

إذا كنت تغدو في الذنوب بعيدا ... وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأفاض من نعمه عليك مزيدا
لا تيأسن من لطف ربك في ... في بطن أمك مضغة ووليدا
الحشا ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا
ولو شاء أن تصلى جهنم خالدا

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

أيها المؤمنون: مازلنا وإياكم في ظلال القران، الذكر الحكيم الصراط المستقيم، الذي ما تركه من جبار إلا قصمه الله، من قال به صدق ومن حكم به عدَل هو الجد لا الهزل، ومع سورة الحجرات.

اليوم نقف وإياكم مع مرضٍ خطير، وداءٍ فتّاك، ومعول هدام، وسلوك يفرق بين الأحباب، وبهتان يغطي محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شروراً بين المجتمع المسلم،

وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والزور والبهتان.

إنها كبيرة من كبائر الذنوب، وموبقة من موبقات الآثام، وحالقة من حالقات الدين يشترك في ذلك فاعلها والراضي بسماعها.

إنها الغيبة التي يذكر فيها الإنسان أخاه المسلم بما يكره، ويظن أنها أمر سهل بسيط، ويحسبه الناس هيناً وهو عند الله عظيم، فإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم، وقد قال أنس بن مالك -رضي الله عنه- لبعض التابعين: «**إنكم تعملون أعمالاً ترونها هينة، كالذباب يقع على أنف أحدكم يقول له هكذا كنا نعدّها على عهد أصحاب رسول الله -ﷺ- كأمثال الجبال**».

فيا معشر المسلمين: إن الإسلام قد جعل للمسلم حقوقاً على أخيه فلا يجوز أن يتساهل فيها، لقد قال -ﷺ- في حجة الوداع؛ «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»، وإن الله سبحانه لما وهب للإنسان السمع والبصر واللسان أوجب عليه أن لا يستعملها كلها إلا في الخير وفي طاعة الله.

وإن الغيبة جعلها من أُوتي جوامع الكلم تعدل غصب المال، وقتل النفس بقوله -ﷺ-: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». والغَصْبُ والقتل كبيرتان إجماعًا، فكذا الإيذاء في العرض.

ولقد أوصى النبي -ﷺ- معاذاً فأخذ بلسانه وقال: «**كُفّ عليك هذا**»، قال معاذ: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: « **ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب**

الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» [رواه مسلم]، والبهتان هو أعظم الكذب والافتراء.

فما بالكم يا معشر المسلمين: بمن جعلوا الغيبة فاكهة المجالس، بمن يجلسون في مجالسهم يغتابون المسلمين، يسلقونهم بألسنةٍ حداد، ويشرّحونهم أوصالاً، من قمة رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، وهم لا يألون جهداً في كشف سترهم ونشر عيوبهم، بل يجتهدون في أن يستخرجوا آباءهم وأجدادهم من قبورهم، لينهشوا الجميع ويأكلوا لحومهم أحياءً وأمواتاً، ويغفلون عن الجزاء الذي ينالونه يوم القيامة، وقد حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الجزاء فقال: «**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٣٣].

وقال عمر -رضي الله عنه-: «**عليكم بذكر الله تعالى، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء**».

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**» [رواه أحمد «٢/ ٧٠»، والحاكم «٢/ ٢٧» وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**»، ووافقه الذهبي. ، وردغة الخبال هي عصارة أهل النار].

فاعلم يا عبد الله أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره، وهو غائب عنك سواء ذكرته بنقص في بدنه كأن تقول: هو قصير أو طويل أو أسود أو أقرع أو ذكرته بنقص في نسبه بأن تقول فيه: أبوه فاسق وأمه فاسقة أو تذكره بنقصاً في خلقه كأن تقول فيه: سيء الخلق بخيل متكبر، شديد الغضب، جبان، متهور أو ذكرته بنقص في أفعاله كقولك فيه: هو سارق كذاب شارب خمر ظالم عاق لوالديه ونحوه.

ومن الغيبة عباد الله: قول القائل في جماعة من الناس عند ذكر شخص ما: نعوذ بالله من قلة الحياء أو نعوذ بالله من الضلال أو هدانا الله وإياه فإنه بذلك يجمع بين غيبة ذلك الشخص ومدح النفس.

والمغتاب يخسر حسناته من حيث لا يشعر ويعطيها رغماً عنه إلى من يغتابه، وهي تعتبر في الوقت نفسه للطرف الآخر ربحاً حيث يحصل جزاءها يوم القيامة حسنات تثقل ميزانه أو سيئات تطرح عنه جاءته من حيث لا يدري، وهذه عاقبة من يغتاب المسلمين ويتطاول في أعراضهم وينهشها أو يظلمهم أو يأكل حقوقهم كما جاء في حديث المفلس المشهور، قال أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه-: « إن العبد ليُعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن قد عملها، فيقول يا رب: من أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر؟ .

. ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**الربا سبعون حوباً، وأيسرها كنكاح الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم**» [أخرجه أحمد في المسند «٢/ ٧٠» وصححه الألباني في الصحيحة «٤٣٧»]. .

الأمر خطير يا عباد الله.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء ماعز الأسلمي ـ الذي زنا في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- فشهد على نفسه بالزنا أربع شهادات، يقول: «**أتيت امرأة حرامًا**» وفي كل ذلك يعرض عنه رسول الله، فذكر أبو هريرة -رضي الله عنه- الحديث إلى أن قال: «**فما تريد؟**» يعني الأسلمي، ما تريد بهذا القول؟ قال: يا رسول الله أريد أن تطهرني، فأمر به رسول الله أن يُرجم فرُجِم، فسمع النبي أثناء الرجم رجلين من الأنصار، ماذا قالا؟ يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم يدع نفسه حتى رُجم رَجم الكلب، قال أبو هريرة فسكت رسول الله، ثم ساروا، قال أبو هريرة: ثم سار عليه الصلاة والسلام ساعة فمر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: «**أين فلان وفلان؟**» يعني الأنصاريين، قالا: نحن ذا يا رسول الله، قال لهما: «**كُلا من جيفة هذا الحمار**» فقالا يا رسول الله: غفر الله لك من يأكل من هذا! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما نلتما من عرض هذا الرجل آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة، فوالذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها**»[رواه ابن حبان، وهو حديث صحيح].

والرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يجامل ولم يتسامح في موضوع الغيبة حتى مع أقرب الناس إليه، انظر إلى هذا الحديث: عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما، من أقرب أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى نفسه عليه الصلاة والسلام، روى الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن أنس -رضي الله عنه- قال: كانت العرب يخدم بعضها بعضًا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجلٌ يخدمهما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعامًا، ـ الأصل أن يكون الخادم قد استيقظ وهيأ الطعام لمن يخدمه، لكن هذا الرجل لم يصنع ـ قام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يجداه قد استيقظ، فقال أحدهما لصاحبه: «**إن هذا ليوائم نوم بيتكم**» يعني قالوا: كأن هذا الرجل نائم في البيت لم يعد

لنا شيئًا فكأنه نائم في البيت «**إن هذا ليوائم نوم بيتكم**» فأيقظاه فقالا: إئت رسول الله فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام وهما يستأدمانك، ـ يطلبان الإذن ليأكلا ـ فقال رسول الله: «**قد ائتداما**» ففزع أبي بكر وعمر ﷺ فجاءا إلى رسول الله -ﷺ- فقالا: يا رسول الله، بعثنا إليك نستأدمك، فقلت: «**قد ائتداما**» فبأي شيء ائتدمنا؟ قال -ﷺ-: «**بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إن لأرى لحمه بين أنيابكما**» وفي رواية قال: «**إني أرى لحمه في ثناياكما**» فقالا ـ أي أبو بكر وعمر ـ فاستغفر لنا يا رسول الله، قال: «**هو فليستغفر لكما**» [حديث صحيح].

وفي حديث أبي هريرة -ﷺ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب الله إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً قال: فيأكله ويكلح ويصيح**» [ابن كثير (٤/ ٢٢٧)].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]

أيها الإخوة المؤمنون، ماذا قال أبو بكر؟ وماذا قال عمر؟ تكلم أحدهما والآخر يسمع، لم يقولا إلا كلامًا يسيرًا، نحن نقول اليوم أعظم منه.

وواجب السامع للمغتاب أن يذب ويرد عن عرض أخيه بالغيب ولا يسترسل مع المغتاب قال رسول الله -ﷺ-: «**من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار**» [رواه أحمد].

وقال أيضاً -ﷺ-: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**».

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**» [صحيح الجامع].

إذا علمت يا عبد الله أن الغيبة محرمة بالإجماع وأنها كبيرة من الكبائر تجب التوبة منها إلى الله تعالى، فاعلم أنه لا تباح الغيبة ولا تجوز إلا لغرضٍ شرعي صحيح لا يمكن الوصول إليه إلا بالغيبة، ومن ذلك:

مواطن جواز الغيبة

أولاً: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى القاضي أو إلى من له قُدرة وولاية على إعطائه حقه من ظالمه فيقول: ظلمني فلان بكذا، ودليل ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح «**أي بخيل**» وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**».

ثانياً: وتباح الغيبة عند الاستفتاء كأن يقول للمفتي: ظلمني أخي فما هو طريقي في الخلاص منه.

ثالثاً: وتباح الغيبة عند الاستعانة على تغيير منكر أو دفع بلاء من مسلم، كما فعلت هند مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في شأن زوجها.

رابعاً: وتباح الغيبة أيضاً عند تحذير المسلمين ونصحهم من أصحاب الشر الذين يضرون غيرهم، بل قد تكون الغيبة واجبة إذا تعلق الأمر بالدفاع عن دين الله وأولياء الله.

خامساً: ومن ذلك أيضاً المشاورة في أمور الزواج أو المشاركة في مشروع أو

المجاورة في المسكن، كأن يطلب منك ولي البنت رأيك في شاب تقدم لخطبتها فيجب عليك أن تذكره بما تعرف ولا يُعد ذلك غيبة.

سادساً: وكذلك تباح غيبة الذي يجهر بفسقه وبمعصيته فعرضه هدر، لأنه استهان بربه وهتك حرمته وستره فجدير به أن يُجازى بمثل عمله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله -ﷺ- فقال: «**ائذنوا له بئس أخو العشيرة**»، فلما دخل ألان له الكلام، قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام؟ قال: «**إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**» قال النووي رحمه الله: أحتج البخاري بهذا الحديث على جواز غيبة أهل الفساد والريب.

سابعاً: ومن الأمور التي تبيح الغيبة التعريف بالإنسان إن كان معروفاً بلقب معين كالأعرج والأعمى، ولكن لا يحل إطلاقه على وجه التحقير والتنقيص.

قال الشاعر

والقَدْحُ ليسَ بغيبةٍ في سِتَّةٍ ... مُتَظَلِّمٍ ومُعَرِّفٍ ومُحَذِّرِ

ومجاهِرٍ فِسْقاً ومُسْتَفْتٍ ... ومَنْ طَلَبَ الإعانةَ في إزالةِ مُنْكَرِ

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

إن الغيبة إذا حلّت بالمجتمع ارتفعت الأخوة، والبديل للغيبة في الإسلام النصيحة فالمؤمن ينصح ويستر والمنافق ينشر ويفضح.

لماذا يغتاب المسلم إخوانه المسلمين؟ ولملاذا ينهش لحومهم وهو يعلم حُرمة الغيبة؟ ! وهو يسمع التشبيه القرآني الفظيع للغيبة! .

لا بد أيها الإخوة من وجود أسباب تؤدي إلى وقوع المسلم في هذا الذنب العظيم.

أسباب تؤدي إلى وقوع المسلم في الغيبة

أولاً: ضعف الإيمان، وضعف اليقين بموعود الله، وبدون الإيمان بالغيب وتخلخل عقيدة المسلم تجاه الإيمان باليوم الآخر، صارت الغيبة نوعًا من أنواع المحرمات الكثيرة التي تساهل المسلمون فيها أيما تساهل، نسأل الله العافية.

ثانياً: ومن أعظم أسباب الغيبة أيضًا: التشفي، وإظهار الغيظ، تذكر قول رسولك -ﷺ-: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء**» [حديث صحيح].

ثالثاً: ومن الأسباب أيها الإخوة، الحسد، الحسد نسأل الله المعافاة منه، فإنه ربما أثنى الناس على شخص كان هذا الممدوح من الذين يلقون قبولاً عند الناس، ومحبة واحترامًا، فإذا سمع الحاسد ذلك احترق قلبه، فلا يجد إلا الغيبة ينفس بها عن حسده وحقده.

رابعاً: ومن أسباب الوقوع في الغيبة: إرادة المغتاب أن يرفع نفسه عند السامعين، فلا يجد سبيلاً إلى ذلك إلا بالانتقاص من الآخرين، سبحان الله، فيقول مثلاً: فلان جاهل، لماذا؟ ليبرز هو علمه، ويقول: فلان بخيل؛ ليبرز كرمه، وهكذا، وهذا المغتاب يجمع بين خطيئتين هما الغيبة والعجب والرياء والسمعة. نسأل الله العافية.

خامساً: ومن أسباب الغيبة يا عباد الله: ، موافقة القرناء والجلساء ـ مجاملة لهم ـ ممن يتفكهون في أعراض المسلمين ويلهون ويلعبون بالأعراض، فيخشى المغتاب إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم، أن يستثقلوه وينفروا منه ولا يحبوا مجالسته.

سادساً: ومن الأسباب أيضًا: الفراغ القاتل، ولا يليق بمسلم أبدًا أن يكون فارغًا، فلا يجد المغتاب أحيانًا ما يشغل به نفسه إلا الغيبة، نسأل الله المعافاة.

سابعاً: ومن أسباب الغيبة: التقرب والتزلف لدى الوجهاء والأغنياء والملأ، وذلك طمعًا في عطاياهم وإرضاء أهوائهم، وهذا ذنبٌ عظيم.

ثامناً: ومن أعظم الأسباب، وأكثرها شيوعًا في المجتمعات الإسلامية الغيبة من أجل اللعب والهزل وما يسميه الناس بالتنكيت، وهذا فسق، ليس تنكيتاً، هذا فسقٌ لا يليق إلا بأراذل الناس، فمتى أيها الإخوة كانت الغيبة المحرمة سببًا في الترويح عن النفس، وفي إذهاب الملل والسآمة كما يقولون.

ماذا يقول المسلم بعد هذه البيان والنصوص؟ لعله يدور في ذهنك أخي المسلم تساؤل فتقول: لعلي أعتزل الناس، لعلي لا أخالط أحدًا أبدًا حتى أسلم من قول الغيبة ومن استماعها، فنقول لك: لا، ولكن اعرف طريق النجاة ثم اسلكه وجاهد نفسك،

والله جل وعلا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]

اللهم طهّر ألسنتنا من الكذب وقول الزور، وأعيننا من الخيانة والفجور، وقلوبنا من الشك والشرك والنفاق، اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

هذا وصلوا وسلموا على من أُمرتم بالصلاة والسلام عليه.

سورة الحجرات «٧» العصبية

الحمد لله الذي نشر بقدرته البشر و صرف بحكمته وقدر، وابتعث محمداً إلى كافة أهل البدو والحضر فأحل وحرم وأباح وحضر، وابتلاه في بداية النبوة بمدارات من كفر، فدخل دار الأرقم فاختفى واستتر إلى أن أعز الله الإسلام برجال كأبي بكر وعمر، فصلوات الله عليه وعلى جميع آله وأصحابه الميامين الغُرر وعلى تابعيهم بإحسان على السنة والأثر صلوات الله عليه ما هطلت الغمائم بنعم المطر وهدلت الحمائم على أفنان الشجر

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى الذي أكرمكم بإنزال القرآن وخصّكم بشرفِ أعظم كتبه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: شرف لك ولقومك. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المائدة: ١٦].

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[يونس: ٥٧].

اليوم نقف وإياكم مع اللقاء السابع من سورة الحجرات، سورة الأخلاق، سورة الآداب، سورة الأخوة سورة تربي المسلم على أن يكون عف اللسان عف الجوارح

عف القلب ومع النداء الرباني الأخير في هذه السورة المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات: ١٣].

ذلكم هو الميزان الشرعي للتفاضل بين الناس، جاءت الأحاديث والآيات تؤكد ذلك، ففي سنن الترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب الناس يوم فتح مكة فقال: «**يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة «حمية» الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجر شقي هَيِّنٌ على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب**»، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[رواه أبو داود والترمذي]. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «**الْعُبِّيَّة الْكِبْر وَالنَّخْوَة**».

وقال لأبي ذر -رضي الله عنه-: «**انظر، فإنك لست بخير من أحمر ولا أسودَ إلا أن تفضله بتقوى**» [رواه الإمام أحمد]

عباد الله، عقيدة التوحيد تجمعنا ودار الإسلام تؤوينا، لا فخر لنا إلا بطاعة الرحمن، ولا عزة ولا كرامة إلا بالإيمان، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

معاشر المصلين، قضية اجتماعية، بسببها انتشرت البغضاء، ومنها نبعت الأحقاد، ولأجلها رُفعت الشعارات الشيطانية، وتعددت الحزبيات العنصرية، ووجدت رواجاً عند ضعاف الإيمان واستغلها الأعداء أبشع استغلال.

لم تدخل في مجتمع إلا فرّقته، ولا في صالح إلا أفسدته، ولا في كثير إلا قللته، ولا في قوي إلا أضعفته، ما نجح الشيطان في شيء مثلما نجح فيها.

إنها العصبية المقيتة بأنواعها، إنها الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، إنها الفخر بالأرض والتراب، إنها الفخر بالعِرق واللون.

أخرجه البخاري (٣٠)، (٢٥٤٥)، وفي "الأدب المفرد" (١٨٩)، ومسلم (١٦٦١) (٤٠)، وأحمد (٢١٤٣٢)، من طرق عن شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بِالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سابت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي - ﷺ -: «**يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وَلْيُلْبِسْهُ مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**».

كلمة غريبة خرجت من أبي ذر - رضي الله عنه - ليست من الإسلام في شيء، وهل في شريعة الإسلام أحمر وأسود وأبيض؟ من هو الكريم عندنا؟ ومن هو المعظّم في هذه الملة؟ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٣]، إننا لا نُعرف بألواننا، ولا بأجناسنا، ولا بلغاتنا، ولا ببلداننا، إنما نُعرف بلا إله إلا الله، وبمقدار عبوديتنا لله عز وجل. سمع بلال هذه الكلمة من أبي ذر: يا ابن السوداء، فغضب - رضي الله عنه - وقال له: والله لأرفعنّك إلى خليلي، ورفع أمره إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فغضب المصطفى غضباً شديداً وقال لأبي ذر: «**أعيّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**».

عباد الله، يقول الله تعالى ذامّاً أهل الحمية لغير الدين: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، وجاء في سنن أبي داود أن النبي -ﷺ- قال: «**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**».

أيها المؤمنون، إن خصالاً من خصال الجاهلية لا زالت موجودة بين الناس، فعن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**أربعٌ في أمتي من الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» [رواه مسلم].

أيها الإخوة، وتأمّلوا كيف طبّق الصحابة هذا الميزان الشرعي في التفاضل: لقي نافع بن عبد الحارث عمر بعُسْفَان، وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: فلان بن فلان، قال: ومَن فلان بن فلان؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفتَ عليهم مولى؟ ! قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال -ﷺ-: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**» [رواه مسلم].

فيا من تطعنُ في الأنساب وتفتخر بالأحساب، يا من حقّرت الناس واستنقصتهم، ألا تعلم حقيقتك؟ ! ألا تعلم أن أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل في بطنك العذرة؟ ! ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[المرسلات: ٢٠]. فعلام الكبرياء وعلام التعالي.

عباد الله، لو كان الأصل والجنس والنسب اعتبار في الإسلام ما أمر سيدنا رسول الله -ﷺ- بلالاً الحبشي الزنجي الأسود -رضي الله عنه- وأرضاه أمره أن يرقى على

سطح الكعبة المعظمة ليصدع بالأذان وتحته أشراف العرب وشاراتهم وذلك في الفتح الأعظم وذلك عندما دخل سيدنا المصطفي رسول الله مكة فاتحاً.

زينب بنت جحش القرشية الهامشية. زوّجها رب العالمين من مولى رسول الله زيد بن حارثة، زوّجه منها من فوق سبع سماواته، فكان ذلك إعلاناً ربانياً سماوياً بإلغاء العنصريات والقوميات والقبليات وبتحريم التفاخر بالآباء.

ولما أخبر النبي -ﷺ- بالدوافع للنكاح قال: «**تُنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[البخاري «٥٠٩٠»، ومسلم «١٤٦٦»]. فمن تزوجها لحسبها فعسى أن يطغيها، ومن تزوجها لمالها فعسى أن يشقيها، ومن تزوجها لجمالها فعسى أن يؤذيها.

عباد الله: إن الواجب على الأب الصالح أن يجتهد كلّ الاجتهاد في البحث والسؤال والتحرّي بكل وسيلة ممكنة، يسأل هذا، ويسأل ذاك، يسأل عن صلاحه وصلاته وأخلاقه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-: « «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»، سأل الحسن البصري رحمه الله رجل فقال: يا إمام لمن أزوج ابنتي قد كثُر خُطّابها؟ . فقال: زوّجها التقي الذي إذا أحبها أكرمها وإذا كرهها لم يُهنها.

وقال -: «**الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملأه إن الله لن يسألكم عن أنسابكم ولا أحسابكم يوم القيامة إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»، أي أن أصلكم كلكم يرجع إلى أصل وأب واحد؛ ولهذا يناديهم يا بني آدم في قوله: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [يس: ٦٠] وفي قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ [الأعراف: ٣١].

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ ليدخل فيه جميع البشر.

صدق الله وصدق رسوله المصطفي بهذا الميزان الرباني وهذا المقياس النبوي هو الذي حكم بتفضيل بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي على أبي لهب العربي القرشي الهاشمي عم رسول الله وما ذاك إلا لأن هؤلاء الأعاجم آمنوا بالله واتقوه ونصروا الله ورسوله وذلك العربي القرشي الهاشمي كفر وفجَر بمبادئ هذا الدين الرباني وموازينه ومقاييسه.

ولا محاباة فيها ولا مداهنة وإلا فمقام القربى من رسول الله - كان أولى المقامات لأن ينفع صاحبه أن ينفع ذلك المشرك الذي نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة بذمه والدعاء عليه، وذلك لأنه لا محاباة ولا مداهنة في موازيين هذا الدين الرباني ومقاييسه.

عباد الله: من فتح بيت المقدس؟ إنه صلاح الدين الكردي ومن جاهد الصليبين؟ إنه نور الدين محمود زنكي التركماني، ومن شاعر الإسلام؟ إنه محمد إقبال الهندي، ومن صاحب أصح كتاب بعد القرآن؟ إنه البخاري من بخارى.

إن هذا الدين يسع الناس جميعًا وتنصهر فيه جميع القبائل والشعوب والأجناس والأعراف متساوين في ذلك بين يدي الله لا يتفاوتون إلا بالتقوى هذا مبدأ أساسي من مبادئ هذا الدين العظيم الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ

وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا اله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى اله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

روي أن رسول الله -ﷺ- بلغه أن ناساً من أصحابه تنازعوا فقال قائل منهم: يا للمهاجرين وقال قائل منهم: يا للأنصار، فخرج سيدنا رسول الله -ﷺ- من بيته غاضباً يجر ردائه فقال: « **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنة**»[صحيح البخاري (٤٩٠٥) صحيح مسلم (٢٥٨٤)].

وفي مجتمعانا قسّموا الناس إلى خطوط فهذا خط كذا وهذا خط كذا، ونسوا أن الله قد بعث سيدنا المصطفي -ﷺ- للقضاء على العنصريات الجاهلية والعصبيات المنتنة العصبية القبلية، الغضب للقبيلة والقتال للقبيلة والحب والبغض للقبيلة بالحق وبالباطل، كما قال أحدهم:

وهل أنا إلا من غُزيّة إن غوت غويتُ وإن ترشد غُزيّة أرشد

العصبية الطائفية فهذا شيعي وهذا سُني وهذا زيدي وهذا حنبلي. . .

العصبية الحزبية قال قائلهم:

آمنتُ بالحزب رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

العصبية القومية العصبية الوطنية فالحب على أساس المواطنة، فمن كان من وطنك تحبه سواءً كان مسلماً أو فاسقاً أو كافراً، في حين لا تحمل هذا الشعور تجاه أخ مسلم من غير بلادك ولو كان من أتقى الناس.

قال قائلهم:

بلادك قدّمها على كُل ملةٍ ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

حبوني ديناً يمنح العرب وحدة وسيروا بجثماني على دين برهم

سلامٌ على كفرٍ يوحد بيننا ذو أهلاً وسهلا بعده بجهنم

ما الحل إلا أن ننطلق جميعاً بقلبٍ واحد وأخوة إيمانية قوية ونقيم بدلاً منها صرح الإيمان الذي يجتمع تحت لوائه جميع المؤمنين إخواناً متحابين تربط بينهم رابطة واحدة وشيجة واحدة وهي رابطة الإيمان ووشيجة الإسلام.

أن نكون جميعاً يداً واحدة وقلباً واحدا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ننصر المظلوم ونمنع الظالم: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]

[المجادلة: ٢٢]، نجتمع ونتوحد ونلتقي من أجل الله ولدين الله فهذا لا يسمى

تحزب ولكن نصرة وأخوة واعتصام بحبل الله قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣]. .

ها هو المصطفي -ﷺ- منذراً أمته بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لينتهين أقوام عن تفاخرهم بآبائهم أو ليكونُن أهون على الله من الجعلان**» [حسن، أخرجه أحمد «٢/ ٣٦١»].

عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أُم لك. فقال رسول الله -ﷺ- : «**انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى تسعة، فمن أنت لا أُم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أن هذين المنتسبين، أما أنت أيها المنتمي إلى تسعة من النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة**».

فالذل والهوان والتشتت والانقسام والتقاتل والتناصر كما كانوا يفعلون في الجاهلية قبل الإسلام. هذه هي العقوبة الإلهية للذين أعرضوا عن مبادئ الإسلام الخالدة الرفيعة السامية. مبادئ المساواة وميزان التقوى والأخوة الإيمانية الإسلامية التي تجمع بين سائر المسلمين علي اختلاف أجناسهم وألوانهم هذه هي العقوبة الإلهية لمن ذهبوا يجرون لاهثين وراء العنصريات الجاهلية المنتنة.

عباد الله: من أراد أن يكون أكرم الناس فليتق الله فإن أكرمكم عند الله أتقاكم.

من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق مما في أيدي الناس.

من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، فإن من يتوكل على الله فهو حسبه

والتقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

تقوى الله أن يُعبد فلا يكفر ويُذكر فلا ينسى ويُشكر فلا يُكفر.

عباد الله: والله أن أحسابنا وأنسابنا وأصولنا لا تقدمنا بين يدي الله قيد أنملة وما يعزنا ويرفعنا عند الله إلا أعمالنا الصالحة وأخلاقنا الحسنة.

عباد الله: إن الأخوة الإسلامية تفوق جميع الصلات والقرابات تتجاوز بذلك الحدود الجغرافية والروابط الأرضية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول -ﷺ-: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان**»، «**المسلم أخو المسلم**»، هذا هو الشعار الذي يجب أن يُرفع، ومن أجله يحب، ومن أجله يعادى.

أيها الآباء، أيها المربون، اتقوا الله في أنفسكم لا تُنْشِئُوْا صغاركم على التعصب والافتخار لغير الإسلام، بل ربّوهم على المبادئ الكريمة والخصال الحميدة التي دعانا إليها ديننا القويم.

اللهم أصلح القلوب والأعمال وأصلح ما ظهر منا وما بطن، واجعلنا من عبادك المخلصين. اللهم إنا نعوذ بك من الغواية والضلالة، اللهم ثبتنا على دينك، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح الأئمة وولاة الأمور، اللهم خذ بنواصينا إلى ما تحب وترضى، وزينا برحمتك بالبر والتقوى واجعلنا من عبادك المهتدين. اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العودة إلى الإيمان

الحمد لله كثيراً كما أمر، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحد وكفر.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى اله وأصحابه السادة الغرر.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى وراقبوه في السر والعلن.

عباد الله:

ما الذي يمنع القلوب من الاتصال بالله؟

ما الذي يحول بينها وبين معرفته؟ مع أنه قريب غير بعيد كما قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

[البقرة: ١٨٦]

ما سبب البعد والانقطاع والوحشة التي نشعر بها في علاقتنا مع ربنا جل وعلا؟

انه الران المحيط بالقلوب هو الذي يغلق الطريق بيننا وبينها قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤]

عباد الله:

هل في قلوبنا حياة؟

هل قلوبنا تنبض بذكر الله؟

هل صدورنا تنشرح لطاعة الله؟

ما هي علامات القلب الحي؟

ما هي العلامات التي يستدل بها الشخص أن في قلبه حياة؟

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]

للإنسان في هذه الحياة ميلادان، **الميلاد الأول**: يوم يخرج من ظلمات الرحم والبطن والمشيمة إلى نور هذه الحياة، يخرج من ضيق البطن إلى سعة الدنيا، وهذا الميلاد يحصل لكل إنسان.

والميلاد الثاني: لا يقع إلا للمؤمن يوم يخرج من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، من ضيق الوحشة والغربة الضياع والمعاصي إلى سعة الطاعة والأنس بالله.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال قلت يا رسول الله قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢] كيف انشراح الصدر؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا دخل النور القلب انشرح الصدر وانفتح**». قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك. قال: «**الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله**».

عباد الله **من علامات القلب الحي**:

١- الوجل وزيادة خفقان القلب وسرعة ضرباته عند ذكر الله قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]

٢- خشوع القلب عند ذكر الله ﷻ. قال تعالى:

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]

وخشوع القلب أي خضوعه وذلته وانكساره.

٣- حضور القلب في الذكر والصلاة.

٤- زيادة خشوع القلب بعد كل عبادة.

٥- صاحب القلب الحي يذوق طعم حلاوة الإيمان، وهي حلاوة لم يشعر بها في حياته يقول -ﷺ- : فيما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار**». [متفق عليه]

وقال -ﷺ-: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً**» [رواه مسلم].

ويقول الحسن البصري رحمه الله: «**تفقدوا الحلاوة في ثلاثة الصلاة والذكر وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فأعلموا أن الباب مغلق**».

٦- ومن علامات القلب الحي شعور صاحبه بالقرب الحقيقي من الله -ﷻ-، ويظهر ذلك في مناجاته ودعائه، ويزداد هذا القرب يوماً بعد يوم حتى يصل إلى درجة الأُنس به سبحانه والتلذذ بمناجاته.

عباد الله: إذا لم نشعر بهذه العلامات فليس معنى هذا أننا لسنا مؤمنين فالإيمان موجود بفضل الله في قلوبنا، وتأتي على البعض لحظات يشعر فيها بقربٍ حقيقي من

الله إلا أن هذه اللحظات لا تستمر طويلاً و ولذلك دعانا الله للاستمرار على الخير والطاعة والاستجابة لما يحيي القلوب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

عباد الله:

إن الذي لا يحمل قلباً حياً يقظاً قد يتأثر بالطاعات والعبادات وخاصة في رمضان والعمرة والحج، وقد يشعر بلذة وراحة وسعادة ولكنه تأثر وقتي سرعان ما يزول بعد الدخول في دوامة الحياة.

عباد الله: السبب في ذلك هو ضعف الإيمان في قلوبنا.

من هو صاحب الإيمان ضعيف؟

١- إنه من يتكاسل عن أداء الطاعات كما أراد الله، يتأخر عن صلاة الجماعة وقلّما يحضر أولها مع الإمام، وفي أثناءها تتزاحم عليه الخواطر فلا يفيق إلا والإمام يسلم.

صاحب الإيمان الضعيف:

٢- لا يستيقظ لصلاة الصبح في موعدها بالمسجد وعندما يفتح عينيه يجد ضياء الشمس قد ملأ الكون حوله دون أن يُصلي الفريضة ولا تجده مستشعراً حجم المصيبة التي لحقت به.

٣- يذهب إلى صلاة الجمعة مُتأخراً بعد أن يصعد الإمام المنبر وتُغلق الملائكة سجلاتها التي كُتبت فيها أسماء المبكرين إلى الصلاة.

٤- يترك الكثير من السنن بدعوى أنه لا حساب على تركها فلا تراه يُصلي

الرواتب ولا صلاة الضحى ولا صلاة الاستخارة.

صاحب الإيمان الضعيف:

٥- يترك الأذكار والدعاء ويشعر بثقل اللسان، فإذا ما رفع يده بالدعاء سرعان ما يقبضها لان قلبه في واد ولسانه في واد آخر.

٦- يهجر القرآن وإن قرأه فباللسان فقط يمر بآيات الوعد والوعيد فلا يتأثر بها قلبه ولا تدمع عيناه.

٧- يكثر اللغو وتزداد عنده جلسات السهر والسمر واللهو وضياع الوقت، وفي هذه المجالس تُنتهك حرمات الأشخاص، وتكثر الغيبة والنميمة والاستهزاء والغمز.

٨- ضعيف الإيمان يتعلق قلبه بالدنيا فيفرح إذا زاد الرصيد من المال والذهب ويحزن عند نقصانه.

٩- ضعيف الإيمان يزداد عنده الحرص والشح ويقل عنده حب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

عندما يضعف الإيمان

١٠- يزداد الغش بين المسلمين في معاملاتهم ويقل الحلم والعفو وتكثر الفضاضة والغلظة ويقل التراحم.

اللهم قوي إيماننا وارفع درجاتنا وبيض وجوهنا وثقل موازيننا برحمتك يارب العالمين.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

عباد الله: **ما العلاج لضعف إيماننا؟**

١- تدبُّر القرآن العظيم. قال الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإسراء: ٨٢].

٢- استشعار عظمة الله ﷻ، ومعرفة أسمائه وصفاته والتدبر فيها وعقل معانيها واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت.

٣- طلب العلم الشرعي: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٤- لزوم حلق الذكر التي تؤدي إلى زيادة الأيمان:

قال -ﷺ-: «**لا يقعدن قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**». [رواه مسلم]

٥- الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها والمداومة عليها وهذا من أعظم أسباب العلاج، لقوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[آل عمران: ١٣٣]

و قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١].

يقول الرسول -ﷺ-، عن ربه في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه**» [البخاري]

وقد سُئل النبي -ﷺ-: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال «**أدومها وإن قل**» [رواه البخاري]

٧- تنويع العبادات:

أتى النبي -ﷺ- رجل يشكو قسوة قلبه فقال له -ﷺ-: «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ، أرحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك وتدرك حاجتك**». [رواه الطبراني وله شواهد]

٧- الإكثار من ذكر الموت: يقول الرسول، : «**أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت**» [رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع ١٢١٠]

٨-ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان ذكر الله تعالى وهو جلاء القلوب وشفاؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾[الأحزاب: ٤١].

٩-ومن الأمور التي تجدد الإيمان مناجاة الله والانكسار بين يديه ﷻ: قال -ﷺ-:

«**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**». [رواه مسلم]

١٠- محاسبة النفس يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨].

١١- وختاماً، فإن دعاء الله ﷻ من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يفعلها كما قال النبي -ﷺ-: «**إن لإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**» [رواه الطبراني والحاكم وهو في (صحيح الجامع ٢/ ٥٦)].

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

يوم عرفة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين.

إلاهنا ما أعدلك مليك كل من ملك، لبيك قد لبّيت لك.

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك.

ما خاب عبدٌ سألك أنت له حيث سلك لولاك يارب هلك.

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك.

والليل لمَّا أن حلك والسابحات في الفلك وكل من أهل لك سبَّح أو لبى فلك.

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك.

يا مخطئاً ما أغفلك عجّل وبادر أجلك اختم بخيرٍ عملك.

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك.

اللهم إن اليوم يوم جمعة والساعة ساعة استجابة فأغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا، اللهم اعتقنا من النار يا عزيز يا غفار.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقدوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فإن من اتقاه وقاه وحفظه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحشر: ١٨].

عباد الله: اغتنموا ساعات العمر ولحظاته، وتعرضوا لنفحات الله الجواد الكريم فإن لله مواسم خيرات يغفر فيها الذنوب والخطيئات ويقيل العثرات ويتجاوز عن السيئات ويعظم فيها الأجر ويضاعف الحسنات، فالله الله إخوتي أن تفوتكم هذه المواسم الخيّرات، فالأعمار محدودة، والأنفاس معدودة، والله يجعلني وإياكم من المسارعين للخيرات ولها سابقين.

عباد الله: اليوم فرحتنا عظيمة فرحتنا لا توصف، وسرورنا اليوم كبير وسعادتنا بالغة، إذ جمع الله لنا في هذا اليوم بين عيدين عيد الأسبوع «**يوم الجمعة**» وعيد الحجيج بعرفات اليوم كما قال ذلك النبي -ﷺ-: «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام**»[أخرجه أبو داود (٢٤١٩) والترمذي (١ / ١٤٨)]

في هذا اليوم عباد الله: اجتماع الشاهد والمشهود، الشاهد الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾[البروج: ٣]، هو يوم وعرفة والمشهود هو يوم الجمعة كما ثبت ذلك عن أبي هريرة -رضي الله عنه- موقوفاً ومرفوعاً في مسند الإمام أحمد: «**الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة**» وقد اجتمع بحمد الله اليوم الشاهد والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة.

ويوم عرفة هو الشفع الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾[الفجر: ٣]

في هذا اليوم وافق حجة النبي -ﷺ- يوم خرج في حجة الوداع ومعه مائة وعشرون ألف مسلم موحد أو يزيدون، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ومن أمامه، كلهم يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك.

وخطب فيهم خطبته الجامعة الشافية الكافية التي أرسى فيها قواعد الإسلام،

وهدم فيها قواعد الجاهلية، وعظّم فيها حرمات المسلمين، فقال كما روى مسلم في صحيحه أنَّ النبيَّ -ﷺ- خطب الناس في يوم عرفة فقال: «**إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس اللهم اشهد. اللهم اشهد. اللهم أشهد**»،

ووضع النبي -ﷺ- كل أمور الجاهلية التي تخالف الشرع تحت قدميه. . ربا الجاهلية موضوع، وتبرج الجاهلية موضوع، وحمية الجاهلية موضوع.

كما بين النبي -ﷺ- أهمية الإخوة في حياة المسلمين فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.

يومكم هذا عباد الله: يوم مبارك، فقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن رجلاً من اليهود قال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر -رضي الله عنه-: «**إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه أنزلت على رسول الله -ﷺ-**،

قائم بعرفة يوم الجمعة».

ففي مثل هذا اليوم نزلت هذه الآية العظيمة التي تدل على إكمال الدين لنا من الله وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، فلا يقبل من أحد دين سواه، وإن لم يرجع فالجنة عليه حرام، والنار جزاؤه ومثواه.

في هذا اليوم أكثروا من ذكر الله وتهليله وتكبيره والصلاة على نبيه ومصطفاه وقراءة القرآن.

يوم عرفة يومٌ تتجلى فيه عظمة الله و قدرته فهو سبحانه يسمع دعاء كل هؤلاء في وقتٍ واحد وفي صعيدٍ واحد يسمع دعاء كل هؤلاء في وقت واحد على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم، ويعطي كل واحد سؤله دون أن تختلط عليه المسائل والحاجات أو تخفى عليه الأصوات والكلمات سبحانه هو السميع البصير العلي الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم: ٢٢].

يوم عرفة يوم المباهاة فالله الكريم الجواد يباهي بأهل الموقف ملائكته فيقول: «**هؤلاء عبادي أتوني شُعثاً غبراً أُشهدكم أني قد غفرت لهم**» [أخرجه مسلم].

والناس فيه يستقبلون عثراتهم ويبكون ويتوجهون إلى الله بقلوب خاشعة وفيهم المقبولون ومن سواهم، وفيهم من يرجع كما أتى أو شرًا مما أتى.

يوم عرفة يومٌ الشيطان يسوّد وجهه ويخيب سعيه ويحثو على رأسه التراب، ويدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور، يغيظه ما يرى من اجتماع المسلمين في عرفات وما ينزل عليهم من مولاهم من الرحمات، عن العباس بن مرداس أن رسول الله -ﷺ- دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فلما كان من الغد دعا غداة المزدلفة فعاد يدعو لأمته، فلم يلبث النبي -ﷺ- أن تبسم فقال بعض

أصحابه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ضحكت في ساعة لم تكن تضحك فيها فما أضحكك أضحك الله سنك؟ قال: «**تبسمت من عدو الله إبليس حين علم أن الله ﷻ قد استجاب لي في أمتي وغفر للظالم، أهوى يدعو بالثبور والويل ويحثو التراب على رأسه فتبسمت مما يصنع جزعه**» [رواه الإمام أحمد في مسنده [١٥٦١٨]]. .

إن عدو الله إبليس ما رؤي في يوم أحقر ولا أصغر ولا أغيظ منه يوم عرفة.

يوم عرفة إخوتي: يوم العتق من النار، فقد قال النبي -ﷺ-: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة**» [رواه مسلم]

ويوم عرفة عباد الله: يوم خوف وخشوع وخشية من الله، يوم يذل فيه المؤمنون لربهم مخبتين يوم البكاء والانكسار بين يدي الغفور الرحيم، يلحون بخير الدعاء وبخير ما قال النبي -ﷺ- والنبيون من قبله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» [رواه الترمذي وحسنه الألباني]. ليعلنوا بذلك صدق ولائهم لله وتوحيدهم إياه، فلا يدعون غيره ولا يرجون سواه.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

في هذا اليوم يغفر الله لمن صام من غير الحجيج السنة التي قبلها والسنة التي بعدها، فلا إله إلا الله - إخوتي - ما أحلم الله على عباده وما أكرمه وهو الجواد الكريم.

والمغفرة في هذا الحديث وغيره تشمل كما قال أهل العلم لصغائر الذنوب فقط، أما الكبائر فلا يغفرها الله إلا بالتوبة النصوح ورد المظالم إلى أهلها.

وفي يوم عرفة مواقفٌ عجيبة لسلفنا الصالح، فقد وقف أحد أسلافنا رافعاً يديه بعرفة قائلاً: « **اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي**». وقال آخر: «**ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أني فيهم**».

وقف أحد الصالحين بعرفة فمنعه الحياء من ربه أن يدعوه فقيل له: لم لا تدعو؟ فقال: أجد وحشة، فقيل له: هذا يوم العفو عن الذنوب، فبسط يديه ووقع ميتاً.

وروي عن الفضيل بن عياض: أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقاً. يعني سدس درهم أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله جئت إلى سفيان الثوري رحمه الله عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تذرفان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: « **الذي يظن أن الله لا يغفر له**».

عباد الله:

هذا اليوم أفضل يومٍ طلعت فيه الشمس.

هذا اليوم المبارك يومٌ تشرق شمسه وتغيب، تشرق شمسه على أقوام مثقلين بالذنوب والعيوب فتغيب وقد تحاتَّت الذنوب وسترت العيوب.

يومٌ تشرق شمسه على أقوامٍ في هموم وغموم وكروب وتغيب شمسه وقد زالت الهموم ونُفِّست الكروب.

يومٌ تشرق شمسه على أصحاب أسقام وآلام وتغيب وقد تبددت الأسقام وزالت الآلام، الله اكبر يا له من يومٍ عظيم.

لا اله إلا الله يوم جمع المسلمين على صعيدٍ واحد، لا ترى فضلاً لعربي على أعجمي، لا ترى فضلاً لغني على فقير، لا ترى فضلاً لقوي على ضعيف، كلهم وقفوا بين يدي الله فقراء إليه (جَلَّ جَلَالُهُ)، وقفوا بين يدي الله في ذلك الصعيد، وقد أتاه الكريم مُهانا، والعزيز ذليلا، والغني فقيرا، والقوي ضعيفا.

كلهم يقول يا الله يا الله فلا يُردهم سبحانه خائبين.

اللهم ارحمنا يا ارحم الراحمين.

عباد الله:

من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بالحق الذي عرفه.

ومن عجز عن المبيت بمزدلفة فليبيت عزمه على طاعة الله الذي قربه وأزلفه.

ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى، فليذبح هواه هنا.

ومن لم يصل إلى البيت العتيق، فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من حبل الوريد.

عباد الله:

غداً يوم العيد، يوم النحر، يوم الثج والعج، يوم الفرح بطاعة الله تعالى، فاحرص أخي على شهود صلاة العيد مع المسلمين والتكبير من فجر يوم التاسع إلى آخر أيام التشريق، ولتأتي من طريق وترجع من آخر، لتشهد لك الأرض يوم القيامة ولتظهر عزة المسلمين ولتلقى إخوانك المسلمين فتُسلّم عليهم.

ولا تأكل شيئاً قبل الصلاة حتى ترجع بعد الصلاة والخطبة، فتذبح الأضحية وتأكل منها كما كان يفعل المصطفى -ﷺ-.

وتجنب في اختيار الأضحية العوراء والعرجاء والمريضة والهزيلة والعضباء و الهتماء، وأفضل الأضاحي أكرمها وأسمنها وأغلاها ثمناً، وقم بذبحها بنفسك، وإذا وكلت أحداً غيرك فلا بأس بذلك، وأرفق بالأضحية عند ذبحها، فلا تحد السكين أمامها، ومكّنها من الأكل والشرب قبل ذلك، وحدّ شفرتك قبل ذبحها، ولا تذبح واحدة بحضرة الأخرى.

والسنة في تقسيمها ثلاثاً، ثلث يؤكل، وآخر يُهدى، وآخر يُتصدق به على الفقراء، ووقت الذبح بعد صلاة العيد إلى آخر أيام التشريق (يوم الثالث عشر من ذي الحجة)،

وتوبوا إلى الله أيها المسلمون: توبةً نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار.

واتقوه سبحانه، وعظِّموا شعائرَه، تفلحوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

ثم اعلموا أن الله جلَّ وعلا أمرنا بأمرٍ عظيم ألا وهو الصلاة والسلام على النبي الكريم -ﷺ-. فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة

الراشدين.

إمامٌ عادل

الحمد لله الذي سهّل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلا، وأوضح لهم طرق الهداية واتخذهم عبيداً له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه لما رضوا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولا.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أشهد بها مع الشاهدين، وادخرها عند الله عُدةً ليوم الدين. وأشهد أن الحلال ما حلّله والحرام ما حرّمه والدين ما شرعه، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ونبيه المرتضى ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، أرسله رحمةً للعالمين، وحُجة على العباد أجمعين.

فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاةً دائمةً بدوام السموات والأرضين.

وبعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨١]، اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

سنقف وإياكم مع زهرة نقطفها من بستان المصطفى -ﷺ-، زهرة نعيش في ظلالها ونقتبس من نورها ونستنشق عبيرها.

سنعيش في هذه الدقائق مع حديثٍ مبارك نتأمل معانيه، إنه الحديث الذي أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي عن أبي هريرة: -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:

«**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» [متفق عليه].

سبعة وعدد السبعة محبوب في الإسلام، ومبارك فأيام الأسبوع سبعة، والطواف سبعة أشواط والسعي سبعة، ورمي الجمار سبع، والسماوات سبع والارضين سبع، وسبعةٌ يظلهم الله، وإذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن بالتراب، والعدد سبعة وتر والله يحب الوتر.

وهؤلاء السبعة -كما يقول أهل العلم- هم سبعة أصناف وليسوا سبعة أفراد؛ يأتي في صنف الإمام العادل العدد الهائل من الناس، فكل من عدل في رعيته، سواء كان أمير عامة، أو أمير خاصة، وحتى لو كان في بيته، والمعلم إذا عدل بين تلاميذه فهو إمامٌ عادل، فإن خان كان ممن جار وظلم رحمهم الله

والذي ينبغي على المؤمن أن يحرص كل الحرص أن تكون فيه صفة من هذه الصفات إذا لم تكن فيه صفتان أو ثلاث، وهي سهلة ويسيره على من يسّرها الله عليه،

عبد الله

قد تقوم من مجلسك يا عبد الله هذا فتتصدق بصدقة تخفيها حتى لا تعلم شمالك ما تنفق يمينك فتكون من السبعة، أو تنزوي في زاوية فتذكر الله وتتباكى، وتنزل دمعات خاشعة من خشية الله فتكون من السبعة، وغيرها من الصفات.

سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فلا ظل يوم القيامة ويوم العرض إلا ظل الله، ولا كنف إلا كنفه، فإنه لا يوجد هناك مظلة، ولا شجر، ولا ظلال، ولا شيء يقي من حر الشمس التي تدنو من الرؤوس.

عبد الله. . اليومُ يومُ القيامة. . ذلك اليوم الرهيب، الذي تبدلت فيه الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ. . يوم الصاخة يوم الحاقة يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء، الحر شديد، والزحام كثير. . ودنت الشمس من الرؤوس، واختلط البشرُ بالوحوش، والجميع يبحث عن مخرج لشدة هول الموقف، فما أحوجهم إلى شيء من ظل يخفف عنهم عناء ما هم فيه. .

في يومٍ عصيب يعظم فيه الخطب، ويشتد فيه الكرب، يوم أن تدنو الشمس من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما. رُحماك يا رب، عفوك يا الله.

كلٌ بحسب عمله يا سبحان الله أناس في ذلك الموقف تتقطع حلوقهم من العطش بينما هناك أُناس يشربون من حوض المصطفى -ﷺ-. هذا ما تُجزون ما كنتم تعملون.

وفى هذه الأثناء وقفت فئة قليلة من الناس في ظل الله ﷻ. . هؤلاء الذين اصطفاهم الله ﷻ بما قدّموا من صالح العمل في حياتهم الدنيا، وبما اتصفوا به من جميل الخلال. . يا الله اجعلنا منهم.

أول هذه الأصناف السبعة: إمامٌ عادل، إمام خاف الله في رعيته وعدل فيهم، وكان بهم رحيماً شفيقا، وأخذ بحق المظلوم من الظالم، كما كان يفعل رجال الأمة الأوائل خلفاء رسول الله -ﷺ-.

يقول أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في خُطبة خلافته والتي أوردها ابن كثير في البداية والنهاية، يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**أما بعد: : أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يُشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**». هذه هي كلمات الإمام العادل أبي بكر الصديق وأرضاه.

والإمام العادل - إخوة الإيمان - ليس المقصود منه الحاكم فقط، بل هو كل من يلي أمراً يكون فيه حَكَما أو رئيساً، يقول بعض أهل العلم: «**إن الإمام في هذا الحديث هو كل من وكِّل إليه في شيء من أمور المسلمين**».

والإمام العادل يكون في البيت، وفي المدرسة، وفي الدائرة، وفي الأمة، وفي أي مكان، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**».

والعدالة هي الإنصاف، ويتحقق الإنصاف بإعطاء كل ذي حق حقه، من غير تفرقة بين شخص وشخص، ومحاسبة المسيء والمقصر على قدر إساءته وتقصيره من غير إعنات ولا محاباة.

الإمام العادل هو الذي جمع الأمرين العدالة في نفسه، والعدل في حكمه فهو

الذي تبع أمر الله ، فيضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

أيها المسلمون: إن الإمام العادل هو زمام الأمور، ونظام الحقوق، وقوته أُم الحدود، والقطب الذي عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله في أرضه وظله الممدود على عباده، به ينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم، ويؤمن خائفهم.

والإمام إذا سلم من الظلم لا يزاحمه أحد في فضيلته، وتعلو مرتبته مرتبة قوّام الليل وصوّام النهار، لأنّ نفع هؤلاء لا يتعداهم ونفعه يتعدى، إذ بعدله يتعبد المتعبدون، ويسافر التاجرون، ويشتغل بالعمل المتعلمون فكأنه عبد الله بعبادة الكل.

ولذلك يقول سفيان الثوري رحمه الله: «**صنفان إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: السلطان والعلماء**».

إذا عُلِم هذا فأعدل الأئمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هو أعدل من خلق الله، وهو الذي حكم على نفسه قبل أن يحكم عليه غيره عليه الصلاة والسلام، وأنصف من نفسه، بل كان في آخر أيامه يقف على المنبر ويقول للناس: « **يا أيها الناس! اللهم من سببته أو شتمته أو ضربته، اللهم اجعلها كفّارة له، ثم قال: يا أيها الناس! من سببته أو شتمته أو ضربته، أو أخذت شيئاً من ماله، فليقتص مني اليوم، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، هذا عرضي فاقتصوا منه**»، فتراد المسجد بالبكاء في عهده عليه الصلاة والسلام.

قال علي -رضي الله عنه-: «**حقٌ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا**».

ومن ولي أمر عشرة فما فوقهم جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه حتى يطلقه عدله أو يوبقه جوره، هكذا ورد الخبر عن سيد البشر محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-

. قال رسول الله -ﷺ-: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وما ولّوا**» [رواه مسلم] وقال أيضاً -ﷺ-: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قالوا يا رسول الله: أفلا ننابذهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**» [رواه مسلم].

ومن عدل الإمام عدم اتخاذه للحجاب الأشرار الذين لا يمكّنون الناس من الدخول على ولاة أمرهم ولا يرفعون حاجاتهم إليهم، البطانة التي تمنع الخلق عن ولي أمرهم، البطانة التي تُغير الحقائق عند ولي الأمر فالصادق كاذب والكاذب صادق ورد في الحديث عن النبي -ﷺ- قوله: «**من ولاّه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب عنهم دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته يوم القيامة**» [أبو داود والترمذي]. وقال -ﷺ-: «**ما من إمام أو والٍ يُغلق بابه دون حاجة الناس وخُلتهم إلا احتجب الله دون خلته وحاجته ومسكنته**» [أخرجه أحمد ٤/ ٢٣١(١٨١٩٦)].

أما إذا كثر الخصوم وازدحموا على الحاكم أو دخلوا عليه بغير إذنه فلا بأس بردهم وإغلاق الباب لترتيب الدخول مع اتخاذ الحصانة التي تكفل أمن المجتمع بإذن الله.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

كل من ولاّه الله أمراً من أمور هذه الأمة فليتق الله وليعدل؛ إن كان مديراً في مدرسة، أو مسؤولاً في الحكومة، أو موظفاً أو أميراً في سفر، أو إماماً عاماً، أو قاضياً؛ فليعلم أنه يأتي يوم القيامة إما عادلاً يظله الله في ظله أو جائراً يتلفه الله ﷻ. وكل ممن ولي من أمر المسلمين شيئاً في إدارة أو مؤسسة أو عمل صغير أو كبير فشق عليهم أو رفق بهم ليعلم كل مسلم خطورة أمور تهاون بها الناس اليوم ولم يعلموا عظم الأمانة التي حملوها، وهو قوله -ﷺ-: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**» [مسلم].

هكذا أيها المسلمون: من رفق بمن تولى بهم قليلا كانوا أو كثيراً دعا له النبي -ﷺ- ومن شق على من تولى عليهم دعا عليه النبي -ﷺ-.

عباد الله: ما أحوجنا جميعا، إلى أن نستظل في ظل الرحمن.

ألا ما أحوج الأمة المسلمة في كل عصر وفي كل مصر إلى الإمام العادل، وهو صاحب الولاية العظمى، وكذا كل من ولي شيئا من أمور المسلمين فعدل فيه.

الإمام العادل، هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، فهو أبو الرعية، والرعية أبناؤه، يُعلِّم جاهلهم، ويواسي فقيرهم، ويعالج مريضهم، يرى القوي ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى يأخذ الحق له.

ولقد ولي عمر بن عبد العزيز ﷺ الخلافة، فأرسل إلى الحسن البصري ﷺ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكان مما كتب له الحسن: «اعلم يا أمير المؤمنين أن

الله جعل الإمام العادل، قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وهو كالراعي الشفيق على إبله، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويُكِنّها من أذى الحر والقر، وهو كالأم الشفيقة، والبرة بولدها، حملته كُرهاً، ووضعته كُرهاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، وهو كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل، يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن، يا أمير المؤمنين، فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله. . . .

واعلم، يا أمير المؤمنين، أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش؛ فكيف إذا أتاها من يليها؟ ! وأن الله أنزل القصاص حياةً لعباده؛ فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟ !

واذكر، يا أمير المؤمنين، الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم، يا أمير المؤمنين، أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدًا وحيدًا، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه.

واذكر، يا أمير المؤمنين، إذا بُعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فالآن، يا أمير المؤمنين، وأنت في مهَل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين، في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ

ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طياتك في آخرتك.

لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. »

وقال بعض الحكماء: إمامٌ عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خيرٌ من فتنة تدوم.

اللهم أظلنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

أيها المسلمون: لقد بلغ أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم الذروة في تحقيق العدل في واقع الأرض، ولم يكن ذلك مجرد وصايا، ولا مُثُل عليا لا تتحقق، ولكنها كانت واقعا من واقع حياتهم اليومية واقعا لم تشهد البشرية مثله من قبل ولا من بعد، ولم يعرف ذلك المستوى إلا في تلك الحقبة المنيرة.

والأمثلة التي وعاها التاريخ في هذا المجال كثيرة مستفيضة، فمن تلك النماذج الرائعة أن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – افتقد درعًا كانت عزيزة عنده فوجدها عند يهودي فقاضاه إلى قاضيه شُريح[1] . . وعلي يومئذ هو الخليفة أمير المؤمنين فسأل شريح أمير المؤمنين عن قضيته فقال: «**الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب**».

---

(١)شُرَيْح القَاضي(٠٠٠ - ٧٨ هـ = ٠٠٠ - ٦٩٧ م)
شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية.
واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة ٧٧ هـ وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة .

فسأل شُريح اليهودي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فرد هذا متلاعباً: الدرع درعي! وما أمير المؤمنين عندي بكاذب [يريد أن يمسك العصا من منتصفها] فيلتفت شريح إلى أمير المؤمنين، هل من بينة؟ ! إنه هكذا العدل! البينة على من ادعى. . وهذه دعوى إلى القضاء لابد فيها من البينة. . وإن تكن مرفوعة من علي -رضي الله عنه-، الذي لم يعرف عنه كذب قط، والذي لا يعقل أن يكذب على الله من أجل درع، وهو المستعلي على كل متاع الأرض! ولكن جواب علي -رضي الله عنه- كان أروع! قال -رضي الله عنه-: «**صدق شُريح! مالي بينة!** » هكذا في بساطة المؤمن المتجرد. . مالي بينة! ! لم يغضب! لم يقل للقاضي كيف تطلب البينة وأنا صاحب رسول الله؟ وكان موقف شريح موقفا رائعاً كموقف أمير المؤمنين. . لقد حكم بالدرع لليهودي لعدم وجود البينة عند المدعي أمير المؤمنين! ! وأخذ الرجل الدرع ومضى وهو لا يكاد يصدق نفسه! ثم عاد بعد خطوات ليقول: يا لله! ! أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه؟ إن هذه أخلاق أنبياء! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله! الدرع درعك يا أمير المؤمنين، خرجت من بعيرك الأورق فاتبعتها فأخذتها. . فيقول علي -رضي الله عنه-: **أما إذا أسلمت فهي لك! !**

ابتاع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فرساً من رجل من الأعراب ودفع له ثمنه ثم ركب فرسه ومضى به، لكنه ما كاد يبتعد بالفرس طويلا حتى ظهر فيه عطب عاقه عن مواصلة الجري فانثنى به عائداً من حيث انطلق وقال للرجل: خذ فرسك فإنه معطوب! فقال الرجل: لا أخذه يا أمير المؤمنين وقد بعته منك سليماً صحيحاً.

فقال عمر -رضي الله عنه-:" **اجعل بيني وبينك حَكما**"، فقال الرجل: يحكم بيننا شريح الكندي، فقال عمر -رضي الله عنه-: **رضيت**، فاحتكم عمر أمير المؤمنين وصاحب الفرس إلى شُريح فلما سمع شُريح مقالة الأعرابي التفت إلى عمر وقال: هل أخذت

الفرس سليماً يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم، فقال شريح احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أو رُد كما أخذت! ماذا كان موقف عمر عند ذلك هل زمجر في وجهه وقال كيف تحكم على أمير المؤمنين أو شيئا من هذا القبيل؟ ! كلا ولكن قال: وهل القضاء إلا هكذا؟ ! قولٌ فصل، وحُكمٌ عدل. [صور من حياة التابعين ص٣٤ بتصرف].

والله ﷻ يقول لداود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦]

قال ابن كثير: « هذه وصية من الله (عَزَّوَجَلَّ) لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله، وقد توعد الله تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

وينادي الله تعالى على المؤمنين بضرورة تطبيق العدل فقال تعالى:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء: ١٣٥]، يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا قائمين بالعدل، مؤدين للشهادة لوجه الله تعالى، ولو كانت على أنفسكم، أو على آبائكم وأمهاتكم، أو على أقاربكم، مهما كان شأن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا؛ فإن الله تعالى أولى بهما منكم، وأعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحملنَّكم الهوى والتعصب على ترك العدل، وإن تحرفوا الشهادة بألسنتكم فتأتوا بها على غير حقيقتها، أو تعرضوا عنها بترك أدائها أو بكتمانها، فإن الله تعالى كان عليمًا بدقائق أعمالكم، وسيجازيكم بها.

أيها المسلمون: إن هذه الحياة قائمة على العدل وبدونه لا تستقيم الحياة ولا تهدأ النفوس، ولا تسكن القلوب، فبالعدل يَسعد الراعي والرعية، وبالعدل تعمر

الأسباب الدنيوية، ويحصل التعاون على المصالح الكلية والجزئية، وبالظلم خراب الديار، وفساد الأحوال، وفتح أبواب الفتن، وحصول العداوات والبغضاء.

عمر بن عبد العزيز ﷺ تعالى يبكي في ليلة من الليالي وتبكي زوجته لبكائه وتسأله في اليوم التالي ما يبكيك؟ فقال توليت أمر المسلمين ومررت على قول الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤].

عمر بن الخطاب – ﷺ – يأتيه أعرابي قد قرض الجوع بطنه وبه من الفقر ما به و يقف على رأسه ويقول:

يا عمر الخير جُزيت الجنة. . اكْسُ بناتي وأمهن. . وكُن لنا في ذا الزمان جنة. . أُقسم بالله لتفعلن. .

قال وإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذاً أبا حفصٍ لأمضين. .

قال وإذا مضيت يكون ماذا؟ قال: والله عنهن لتسألن. . يوم تكون الأُعطيات مِنة. . وموقف المسئول بينهن. . إما إلى نارٍ وإما إلى جنة.

فلم يملك عمر – ﷺ – وأرضاه إلا أن ذرفت دموعه على لحيته – ﷺ – وأرضاه ودخل ولم يجد شيئاً في بيته، فما كان إلا أن خلع ردائه وقال: «**خذ هذا ليومٍ تكون الأُعطيات منة وموقف المسئول بينهن إما إلى نارٍ وإما جنة**»، هكذا تكون مراقبة الله ﷻ وهكذا تكون تقوى الله ﷻ.

كيف يحقق الإمام العدل في المجتمع؟

أولاً: حين يكون الرسول قدوته وأسوته.

ثانياً: حين يقيم حدود الله ولا يجامل أحداً في إقامتها، فإقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة.

ثالثاً: لا يُفرّق بين أحد في تطبيق العدل: ينبغي أن يكون شعارنا قول رسول الله -ﷺ- عندما شفع حِبه أسامة بن زيد -رضي الله عنه- في المخزومية التي سرقت فقطع النبي -ﷺ- يدها حيث قال: «**أتشفع في حد من حدود الله إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ولم يقيموا عليه الحد وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا عليه الحد والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» [رواه البخاري ومسلم].

رابعاً: على الإمام أن يضع كل شيء في موضعه اللائق به.

خامسا: على الإمام أن يتفقد أحوال رعيته فالله سائله عما استرعاه.

وهنيئًا للإمام يوم يكون عادلا فثلاثة لا ترد دعوتهم، كما روى أحمد والترمذي قوله -ﷺ-: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا**» [رواه مسلم].

وروى مسلم كذلك عن عياض بن حمار -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال**».

هذا وصلوا -عباد الله- على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

شابٌ نشأ في عبادة الله

الحمد لله ذي القوة المتين، عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم، نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بعزك الذي لا يُضام، واكلأنا بحمايتك يا عزيز يا علام ..

ونشهد أن سيدنا وقائدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، القائل: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، أتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**» [حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٣٣]. صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن سار على دربهم واستن سنتهم، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

عباد الله:

ما زلنا وإياكم في ظلال الحديث المبارك، إنه الحديث الذي أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادل، وشابٌ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله**

فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

ووقفتنا اليوم مع الصنف الثاني « **شابٌ نشأ في عبادة ربه**»

الشباب. . عماد الأمم، وسلاح الشعوب، يؤثرون في الأمة سلبًا أو إيجابًا، يدفعون عجلة التأريخ نحو أمل مشرق، ومستقبل مضيء، أو يديرونها إلى الوراء جهلاً وحمقًا.

الشباب هم الدرع الذي يقي الأمة من سهام الأعداء، وهم الصخرة التي تنكسر عليها أطماع وأحلام الأعداء.

الشباب هو الذي يتمناه الصغيرُ، ويتحسّر على فراقه الكبيرُ، فتراه يقول :

فيا ليت الشبابَ يعودُ يوماً فأُخبرَه بما فعل المشيبُ

قوة الأمة بقوة شبابها: إذا أحببت أن تعرف حاضر الامة ومستقبلها فانظر الى شبابها ؟ماهي همومهم ما هي طموحاتهم ؟وما أهدافهم فيما يفكرون ؟ أحدهم يُسال ما أُمنيتك في الحياة؟ فقال: أن يُزيل الله القشرة من رأسي . وآخر يتمني أن يكون مغنيا مشهورا، وآخر لاعبا محترفا.

لا اله الا الله عندما تسفل الهمم وتنحط.

عباد الله:

التاريخ يشهد على أهمية دور الشباب في حمل هذا الدين والدفاع عنه إبراهيم عليه السلام. . واجه قومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان بل وكسرها وهو شاب يافع ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٠]

ومؤمن آل فرعون شابٌ يصدح بالحق وينادي كما قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر:٢٨]

يقولها في وجه فرعون ولا يخاف في الله لومة لائم. .

والفتى الداعية غلام الأخدود يسعى للموت، ويطلب القتل، ترخص عليه روحه إذا كان في إزهاقها إيمان أمة، وصلاح شعب، قال تعالى :

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ [البروج: ١-٦].

أصحاب الكهف شبابٌ فروا بدينهم وعقيدتهم، ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف:١٤]، وخلد الله ذكرهم في كتابه :﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف:١٣]

الإمام علي رضي الله عنه - أول فدائي في الإسلام: قضى شبابه كله في نصرة الحق والذود عن راية التوحيد فهو أول من أسلم من الصبيان وكان عمره حين أسلم عشر سنين وحين هاجر ثلاث وعشرون سنة.

وها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أول مَن رمى بسهم في الإسلام، وكان عمره سبع عشرة سنة (١٧ سنة) ورسول الله ﷺ يقول له: **"ارمِ، فداك أبي وأمي."**

أول سفير للإسلام فاتح مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - بالإسلام إنه الشاب الهمام مصعب بن عمير رضي الله عنه .

محمد بن القاسم الثقفي، أصغر فاتح في الإسلام، فتح بلاد السند والهند

وعمره لم يتجاوز السابعة عشر؛ و يبقى اسمه شامخًا في سجل الفاتحين الأبطال.

وأمثال هؤلاء كثير في الأمة، من عصر الصحابة والتابعين وايامنا هذه.

والخير في الأمة باقٍ الى قيام الساعة، وفي كل زمان نماذج من شبابٍ يصدق على أحدهم أنه شاب نشأ في طاعة الله، وأمضى شبابه في عبادة الله .

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

ليس في عبادة هواه ولا شهواته ولا دنياه، انما عبادة الله ربه ومولاه .

شابٌ اغتنم شبابه قبل هرمه، وحياته قبل موته، وفراغه قبل شغله، وصحته قبل سقمه، وغناه قبل فقره.

خذ من شبابك قبل الموت وبادر التوب قبل الفوت والندم
والهرم وراقب الله واحذر زلة القدم
واعلم بأنك مجزئ ومرتهن

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

يرى أقرانه في السهر واللهو والفساد وضياع الاوقات، وهو مشتغلٌ بعبادة رب الارض والسماوات، مصاحبا للعلم والعلماء، ساعياً في الأرض لكسب الحلال واغتنام حياته فيما ينفع دينه وأمته.

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

علم أن الشباب ضيف لا يعود وفرصة إذا مرت لا رجوع لها فاشتغل بطاعة الله، واستعان به على الصالح لدينه ودنياه واخراه، ومن تعوّد الطاعة في صغره فإنه يفعلها قادرًا عليها في كبره.

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

ليس المقصود أن يجلس في زاوية في مسجد يتعبد، أو يقرأ القرآن، و تخلى عن الحياة الدنيا واعتزل اهلها، فلا رهبانية في الإسلام

إســـــلامنا لا يســـــتقيم عمـــــوده بـــدعاء شـــيخ فـــي زاويـــا المســـجد

إســـــلامنا لا يســـــتقيم عمـــــوده بقصـــــائد تتلـــــى لمـــــدح محمـــــد

اســـــلامنا نـــــور يضـــــئ طريقنـــــا اســـــلامنا نـــــار علـــــى مـــــن يعتـــــدي

نعني العبادة التي يستعمل فيها جسمه وروحه ووقته وماله وما أنعم الله به عليه في مرضاة ربه وخالقه، وبذلك استحق أن يظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

قال رسول الله -ﷺ-: «**إن ربك ليعجب من الشاب ليست له صبوة**». [أخرجه أحمد والطبراني].

والله يحب الشيخ الطائع وحبه للشاب الطائع أشد.

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

هو ذلك الطالب في مدرسته او جامعته والجندي في الميدان، والتاجر في السوق، والفلاح في المزرعة، والطبيب في المستشفى، والمهندس والعامل في المصنع، و كل اعضو صالح مصلح في المجتمع، ولهذا شاب نشا في عبادة الله منزلة ليست مقصورة على الذكور بل يدخل فيها الفتاة المسلمة العفيفة المحافظة على دينها واخلاقها.

«شابٌ نشأ في عبادة ربه»

عندما نقول شاب لا يضن البعض أنه بعيد عن هذا الصنف قد كبر فمرحلة الشباب من البلوغ إلى سن الأربعين.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله:

خرج المسلمون إلى غزوة أُحد للقاء المشركين، فلما اصطفّ الجيش قام النبي -ﷺ- يستعرضه، فرأى في الجيش صغاراً لم يبلغوا الحلم حشروا أنفسهم مع الرجال، يريدون الجهاد في سبيل الله تعالى، يريدون إعلاء كلمة الله، لم يصطفوا للهو واللعب، إنما اصطفوا للجهاد وللشهادة، فأشفق عليهم النبي -ﷺ-، أشفق عليهم الرحيم بأمته، فردهم ، وكان فيمن رده عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج وسمرة بن جندب، ثم أجاز -ﷺ-رافعاً لما قيل: إنه رامٍ يحسن الرماية، فبكى سمرة وقال لزوج أمه: أجاز رسول الله -ﷺ- رافعا وردني مع أني أصرعه، فبلغ رسول الله -ﷺ-الخبر فأمرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة، فأجازه عليه الصلاة والسلام.

نموذج آخر: في غزوة بدر يقول سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: رأيت أخي عمير قبل أن يعرضنا رسول الله -ﷺ- يوم بدر يتوارى - أي: يختبئ في الجيش -، فقلت: ما لك يا أخي؟ ! قال: إني أخاف أن يراني رسول الله -ﷺ- فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة. يريد الشهادة! تدرون كم عمره؟ ستة عشر عاما، ماذا يفعل بعض الأبناء اليوم في هذه السن؟ الله المستعان. ما هي أمنياتهم ما

أهدافهم ؟

لا اله الا الله عندما تحسن التربية، لا إله إلا الله عندما تحسن التنشئة .

عباد الله:

حينما تعلو همم الشباب يتنافسون على خوض المعركة، ويتصارع رافع وسمرة عند محمد -ﷺ- ليدخلهم لا في مسابقة ولا نزهة بل في معركة تحصد الأرواح وهما في سن الخامسة عشرة.

حينما تعلو همم الشباب يكون طلب الواحد منهم للنبي -ﷺ-: **أسألك مرافقتك في الجنة** .

وحينما تعلو الهمم تكون الأمنية لقاء محدث شيخ يقرأ عليه وعالم ينهل منه.

وحينما تعلو الهمم تنزل دمعة الشاب خوفاً من رب العباد، أو حزناً إن لم يجد طريقا يوصله للجهاد.

وحينما تسفُل الهمم يكون الهم نيل متعة، والأمنيةُ لقاء لاعب، والدمعة تنزل عند هزيمة فريق، أو موت بطل مسلسل فهل يستويان؟ هل يستوي من همته الثرى ومن بلغت الثريا ؟لا يستويان.

ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة عن سليمان بن بلال -رضي الله عنه- أنّ رسول الله -ﷺ- لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذُكر ذلك للنبيّ -ﷺ-فأمر أن يخرج أحدهما، فاستهما ـ أي: اقترعا ـ فقال: خيثمة بن الحارث لابنه سعد رضي الله عنهما: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال الابن سعد: «**لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا**». فاستهما فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله -ﷺ-إلى بدر، فقتله عمرو بن عبد ودّ.

الله أكبر، يقترعان للموت. نعم، إنه موت العزةِ والشرف والرفعة.

يقول أبوه بعد ذلك:

«والله لقد كان سعد أعقل مني، أوّاهُ أوّاه لقد فاز بها دوني، والله لقد رأيته البارحة في المنام يسرح في أنهار الجنة، وثمارها ويقول أبتاه، الحق بنا فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا».

الشاب الذي نشأ في عبادة الله - إخوة الإيمان - هو الذي تحتاجه الأمة لتقيم صرحها، وتستعيد مجدها، وتدافع عن عقيدتها وكرامتها، وترد كيد أعداءها ، شباب يعيش لله ويسعى إلى صالح نفسه وصالح أمته ووطنه:

شباب ذللوا سبل المعالي ... وما عرفوا سوى الإسلام دينا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماة ... يدكون المعاقل والحصونا

وإن جن المساء فلا تراهم ... من الإشفاق إلا ساجدينا

شباب لم تحطمه الليال ... ي ولم يسلم الى الخصم العرينا

عرفوا الأغاني مائعات ... ولكن العلا صنعت لحونا

عباد الله:

إعداد شاب قد نشأ على العبادة مَهمةٌ، وللآباء والأسرة دور كبير فيها إعداداً وعناية وتربية ورعاية .

وكما أن للأبوين دورا في صلاح الأبناء فلهم دور في حرفهم عن الخير ولذا فـ **"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"**.

ولهذا جاء في الحديث قوله ﷺ :**"نشأ في عبادة الله** "ولم يقل(نشأ على) وكأن

عبادة الله كانت له كالحقل ينبت فيه أو كالبيت تربى فيه .

فمن أحسن الغرس جنى الثمر ومن زرع الشوك جنى الجراح، ومن شب على شئ شاب عليه.

ومن الآباء من يغفل عن أبنائه حتى إذا شبوا وصاروا في الخامسة عشر أو أكثر انتبه لابنه أو ابنته ويسأل ماذا أفعل الآن ابني كبر ابنتي كبرت ؛كلا (فإن الأغصان إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب .

هذا وصلوا - عباد الله - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب: ٥٦]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

ختاما

انتهى الجزء الرابع من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه، ونلتقي بإذن الله في الجزء الخامس قريباً إذا كان في العمر بقية والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرأ كتابِ دعا لي بالخلاص من الحساب

اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

أمير محمد المدري

اليمن – المهرة

للتواصل والمقترحات والملاحظات

Almadari_1@hotmail. com

جوال/ ٠٠٩٦٧٧٧٠٣٤٣٤٧٠

واتس آب **٠٠٩٦٧٧١١٤٢٣٢٣٩**